من ملامح الفكر اللغوي عند أبي بكر الصولي (ت ٣٣٦ هـ) مع تحقيق كتابه فضل الشبان

دراسة وتحقيق وتعليق

د / مصطفى على قرمد

مدرس أصول اللغة بكلية اللغة العربية بالمنصورة

جامعة الأزهر

الملخص

كان كتاب فضل الشبان ضمن الآثار المفقودة لأبى بكر الصولى – رحمه الله – وشاء الله أن يكون إحياؤه على يدي، وقد أفرده مؤلفه لإظهار فضل الشُّبَّان على كثير من ذوى الأَسْنَان، والكتاب حافل بما يبعث فى النفوس الأمل ، ومادته تستنهض العزائم الصادقة على العمل ، بالإضافة إلى اشتماله على مادة أدبية ولغوية تكشف عن بعض ملامح الفكر اللغوى لدى صاحبه ، وقد أفردت لها حديثا ، وقد وفقنى الله إلى نسبة الكتاب إلى صاحبه ، وتحرير النصوص التى ظنها بعض المحققين منقولة من الكتاب وليست منه ، كما صححت عنوانه عند من أخطأه ، أو خلطه بغيره من مؤلفات الصولى ، وهو فى ذلك معذور لأنه لم يقف على هذا الأثر ، وظنه ضمن ما اندثر .

وأسأل الله تعالى أن يجعل جهدى فى هذا الكتاب من الصالحات الباقيات، وأن ينفع به ويكتب له القبول .

The Book of the Virtues of the Young was among the lost monuments of Abi Bakr al-Suli May God have mercy on him God willing be revived on my hands, His author has singled out him to show the virtue of the young to many of the old

The book in our hands is full of hope, Its meaning motivates honest men to work hard In addition to the inclusion of literary and linguistic material reveal some of the features of linguistic thought in the author , has been singled out recently, God has guided me to the ratio of the book to its author, and the editing of the texts that some investigators thought were transferred from the book and not from it As corrected the title of the book when mistake, or mix it with other writings Abi Bakr al-Suli, which is excused because he did not stand on this impact, and his mind within what has disappeared.

I ask God to make my best in this book of the remaining good, and to benefit him and write him acceptance.

المقدمة

الحمد لله الذى أورث الأرض من اصطفى ، وجعل من الكتب والدفاتر آثارا باقية ، يسترشد بها الخلف على مآثر السلف ، وأصلى وأسلم على خاتم النبيين وسيد المرسلين ، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين ، وبعد ..

فقد كان هذا الأثر ضمن الآثار المفقودة لأبى بكر الصولى – رحمه الله – شاء الله أن يكون إحياؤه على يد الفقير إلى عفو ربه ، وقد أفرده مؤلفه لإظهار فضل الشُّبَّان على كثير من ذوى الأَسْنَان ، وقد يكون الداعى إلى تأليف هذا الكتاب لا يضاهى شرف ما يحويه الكتاب من مادة صادقة تعترف للأمة بأن شبابها هم باكورة حياتها ، وساعدها القوى ، وعماد نهضتها ، وأن التفريط فى شئونهم هو تعطيل لحاضر الأمة وضياع لمستقبلها ، واطِّرَاحٌ لوَصِيَّةِ رسول الله ﷺ بهم ، « فعن أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى الشَّبَابَ قَالَ : مَرْحَبًا بِوَصِيَّةِ رَسُولِ الله ﷺ ، أَوْصَانَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نُوَسِّعَ لَكُمْ فِى الْمَجْلِسِ، وَأَنْ نُفَهِّمَكُمُ الْحَدِيثَ ، فَإِنَّكُمْ خُلُوفُنَا ، وَأَهْلُ الْحَدِيثِ بَعْدَنَا ... »[(١)] .

إن التفريط فى هذه السِّنِّ الفتية التى تجدد فى الأمة نشاطها ونبض الحياة فيها يبعث فى النفوس حسرة تسمع لها صراخا فى آداب العرب شعرا ونثرا ، قال يونس بن حبيب : « مَا بَكَتِ العَرَبُ عَلَى شَيءٍ بُكَاءَهَا عَلَى الشَّبَابِ ، ومَا بَلَغَتْ كُنْهَ مَا يَسْتَحِقّ »[(٢)]، لكننا وللأسف أقصى ما يمكننا فعله إزاء هذا العويل أن نستدعى

(١) شعب الإيمان : ٣/ ٢٥١ .

(٢) الفاضل للمبرد : ٧٣ .

أمجاد التاريخ ، ونتذاكر مآثر الأجداد ، وكأننا نحيا بمثل هذا الاستدعاء، ولله در القائل :

إِذَا مَا الحَيُّ عَاشَ بِعَظْمِ مَيْتٍ فَذَاكَ العَظْمُ حَيٌّ وَهْوَ مَيْتُ

إن القراءة للتاريخ والمآثر والأيام التى ظهر فيها الحق على الباطل ، والإسلام على خصومه ، ينبغى أن تكون مصحوبة بأسباب الغلبة والتفوق لتفعيلها ، وليس لتمجيدها كآثار متحفية ، وإن الاهتمام بالشباب كان سببا فاعلا فى تسطير تاريخنا المجيد ، وكتاب « فضل الشبان » على الرغم من صغر حجمه ، تكاد تصدح عباراته فى كل حادثة « إِنَّمَا الخَيْرُ فِى الشَّبَابِ » .

وإذا ما نظرنا إلى واقع الشباب اليوم نستشعر عظم المسئولية تجاههم ، فالتبعة اليوم أثقل من أى وقت مضى ، ومن ثم يجب علينا احتضانهم ، وتوعيتهم بعظم الأمانة الملقاة على كاهلهم ، وتفعيل دورهم فى صالح الأمة .

والكتاب الذى بين أيدينا حافل بما يبعث فى النفوس الأمل ، ومادته تستنهض العزائم الصادقة على العمل ، بالإضافة إلى اشتماله على مادة أدبية ولغوية تكشف عن بعض ملامح الفكر اللغوى لدى صاحبه ، وقد أفردت لها حديثا ، وقد وفقنى الله إلى نسبة الكتاب إلى صاحبه ، وتحرير النصوص التى ظنها بعض المحققين منقولة من الكتاب وليست منه ، كما صححت عنوانه عند من أخطأه ، أو خلطه بغيره من مؤلفات الصولى ، وهو فى ذلك معذور لأنه لم يقف على هذا الأثر ، وظنه ضمن ما اندثر .

وأسأل الله تعالى أن يجعل جهدى فى هذا الكتاب من الصالحات الباقيات ، وأن ينفع به ويكتب له القبول .

أضواء على حياة أبى بكر الصولى

هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس الصولىّ نسبة إلى جده (صُول) ملك جرجان ، من أَصْلٍ تركى [١] ، أسلم جَدُّه على يد المهلب بن أبى صفرة إبان الفتح الإسلامى ، وقد كان لأبناء صُول وأحفاده دور فى بداية الدعوة العباسية ، ثم كان لهم دور فى البلاط العباسى فمهروا فى الكتابة وتقلدوا الأعمال السلطانية [٢] .

ولد أبو بكر ببغداد سنة سبع وخمسين ومئتين من الهجرة تقريبا [٣] ، ونشأ بها ، وكان أبوه من الأعيان من طبقة اجتماعية مرموقة ، فساعده ذلك على الاتصال بشعراء وأدباء عصره ، وقد حكى الصولى طرفا من ذلك ، فقال : [٤] « سَأَلَ البحترىُّ أبى – رحمه الله – حَاجةً ، فَوَعَدَه أنْ يَرْكَبَ فِيهَا يَوْمَ الخَمِيس فَيَقْضِيهَا ، فتأَخَّرَتْ مُدَيْدةً ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ قَصِيدةً مِنْهَا :

لم تَرْعَ لِى حَقَّ القَرَابَةِ طَيِّئٌ ... فِيْهَا ولَا حَقَّ المَوَدَّةِ فَارِسُ

وَوَعَدْتَنِى يَوْمَ الخَمِيسِ وَقَدْ مَضَى ... مِنْ دُونِ مَوْعِدِكَ الخَمِيسُ الخَامِسُ»

فهذه الواقعة وأشباهها تدل على سهولة اتصال الصولى بكثير من الأدباء والشعراء فى بداية تحصيله للعلوم ، كما مكنته نشأته وظروفه الاجتماعية من تحصيل فنون كثيرة من العلم ، فبرع فى الشعر والأدب ، واللغة ، والأخبار ، والتاريخ بالإضافة إلى الفقه ، وروايته للحديث ، فتوافر له ما عَزَّ عَلَى غَيْرِه من

(١) ينظر : معجم الأدباء : ٦/ ٢٦٧٧ .

(٢) ينظر : تاريخ بغداد : ٤/ ٦٧٦ ، شرح الصولى لديوان أبى تمام : ١/ ٧١ .

(٣) صحح مولده د/ خلف رشيد نعمان فى ترجمته للصولى فى تحقيقه لكتاب شرح الصولى لديوان أبى تمام : ١/ ٧١ .

(٤) المصون فى الأدب : ١٥٨ .

سَعَة الاطلاع وكَثْرَةِ السماع ، فحكى ياقوت [١] « كَانَ لأَبى بكر الصولى خِزَانَةٌ أَفْرَدَهـا لما جَمَع من الكُتُبِ المختلفة ، رَتَّبَهَا فِيهَا أَجْمَل ترتيبٍ ، وكان يقول لأَصْحَابِه : كلُّ مَا فى هَذِه الخِزَانَة سَمَاعِى، وإِذَا أَرَادَ مُرَاجَعَةَ كِتَابٍ مِنْهَا ، قَالَ : يَا غُلَام هَاتِ الكِتَابَ الفُلَانِى ، فسمعه يومًا أبو سعيدٍ العُقَيلى يَقُولُ ذَلِكَ ، ف أَنْشد [٢] :

إِنَّـــمَا الصُّـــولِى شَـــيْخٌ أَعْلَـــمُ النَّـــاسِ خِزَانَـــهْ

إِنْ سَـــأَلْنَاهُ بِعِلْـــمٍ طَلَبًـــا مِنْـــهُ إِبَانَـــهْ

قَـــالَ يَـــا غِلْـــمَان هَـــاتُوا رِزْمَـــة العِلْـــمِ فُلَانَـــهْ»

ولم يكتف فى التحصيل بما سبق ذكره من العلوم التى برع فيها ، بل تعدى ذلك إلى غيرها من الفنون ، قال ابن تغرى بردى « كان واسع الرواية ، كثير الحفظ ، صنف كتاب الأوراق ، وكتاب الوزراء وغيرَهما ، وانتهى إليه علم الهَنْدَسَة والشِّطْرَنْجِ »[٣] ؛ ولذا كان يلقب بالشِّطْرَنْجِى ، ويضرب به المثل لمهارته فى اللعب به [٤] .

وقد مكنته براعته فى الفنون والآداب من منادمة ثلاثة من الخلفاء : المكتفى (٢٨٩ – ٢٩٥ هـ) ، والمقتدر (٢٩٥ – ٣٢٠ هـ) ، والراضى (٣٢٢ – ٣٢٩ هـ) [٥] .

(١) معجم الأدباء : ٦/ ٢٦٧٧ ، وينظر : إنباه الرواة : ٣/ ٢٣٥ ، وفيات الأعيان : ٤/ ٣٦٠ .

(٢) من مجزوء الرمل .

(٣) النجوم الزاهرة : ٣/ ٢٩٦ .

(٤) سير أعلام النبلاء : ١٥/ ٣٠١ .

(٥) ينظر : معجم الأدباء : ٦/ ٢٦٧٧ .

وكان الصولى شديد الحرص على مكانته فى بلاط الخلفاء فى هذه المرحلة المضطربة المليئة بالمؤامرات والدسائس ، ما جعله يتزلف بالمبالغة فى الثناء ، ومسالمة البِطَانة والأَقْرَان والجلساء ، كما كان كثير الاستجداء للخلفاء والأمراء بشكوى الزمان وكثرة الحرمان [١] .

كما كان حريصا على توظيف أداوته المختلفة وإظهار براعته فى كثير من الفنون ؛ لإكبار ذاته فى نفوسهم ، واستبقاء محباتهم ، ونيل عطاءاتهم [٢] ، وليس أدل على ذلك من هذه الحادثة التى أنشد فيها الخليفةُ الرَّاضى أبياتا جاء فيها [٣] :

تَمَنَّى حُبَيْشٌ أَنْ يَكُونَ أَطاعَنِى وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورُ

فقال الصولى : « إِنَّ سيدَنَا – أطالَ الله بَقَاه – نَشَأَ فِى حِجْرِ الصَّوَابِ ، فَمِنْ أَيْنَ لَهُ (تَمَنَّى حُبَيْش) ؟ فَقَالَ لِى : مِن حَيْثُ لَا يَطِيفُ بِرَاوِيه عَيْبٌ ، فقلتُ : لو أنَّ أبَا عَمْرو بن العَلاءِ رَوَى هَذَا لَكَانَ أَخْطَأَ نَاسَهُ ، فقال: إنَّ الطَّبَرِىَّ يَقُولُ هذَا فى كِتَابِ تَارِيخِه ، فَقُلْتُ لَهُ : الطبرىُّ لَيْسَ فِى الغَرِيبِ مِثْله فِى غِيْرِه .

رَوَى الأَصْمَعِى وأَبُو عُبَيْدَة وابنُ الأَعْرَابى وأبو عَمْرِو الشَّيْبَانِى :

تَمَنَّى نَئِيشًا أَنْ يَكُونَ أطَاعَنِى

ومَعْنَاه : أَنَّه تَمَنَّى شَيْئًا بَعْدَ مَا فَاتَه ، يُقَالُ : رَأَى هَذَا نَئِيشًا ، إِذَا رَآهُ فِى آخِرِهِ

(١) شرح الصولى لديوان أبى تمام : ١/ ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) ينظر : شرح الصولى لديوان أبى تمام : ١/ ٨٦ ، ٩١ ، ٩٨ .

(٣) من الطويل لنهشل بن حرى فى تاريخ الرسل والملوك للطبرى : ١/ ٦٢٠ ، الأوراق (أخبار الراضى) : ٣٩ .

وقَدْ فَاتَ ، ... وأَنْشَدْتُه [١] :

تَنَـاءَتْ عَـنْكُمُ عُـدُسُ بْـنُ زَيْـدٍ فَلَـــمْ يَعْـــرِفْكُم إِلَّا نَئِيشًـــا

يُرِيدُ إِلَّا أَخِيرًا ، فَقَالَ لى : فَلَعَلَّ الـوَرَّاقَ أَخْطَأَ عَلَيْهِ ، قُلْتُ : لَا ؛ ولَكِنَّ الطَّبَرِىَّ رَأَى (نَئِيشًا) فِى كِتَابٍ ، ولَمْ يَدْرِ مَا هُوَ ، فَظَنَّه (حُبَيْشًا) اسْمَ رَجُلٍ ، ... ثُمَّ لَمْ يَرْضَ حَتَّى سَأَلَ القَاضِى عَنْ هَذَا ، فَقَالَ : رَوَاهُ الطَّبَرِى عَلَى خَطَإٍ ، والصُّولِى كَثِيرُ السَّمَاعِ ، فَمِنْ هَذَا لَا يَحْكِى إِلَّا صَوَابًا ، حَدَّثَنِى القَاضِى بِذَلك »[٢] .

فرغبة التميز وإبداء المهارة ملمح بارز فى مؤلفاته ، وقد نبه عليها بقوله : « أَكْرَهُ إِعَادَةَ مَا أُلِّفَ وأَجْتَنِبُ أنْ أَجْذِبَ مِن الأَدَبِ مَا مُلِكَ قَبْلِى »[٣] .

أشهر شيوخه وتلاميذه وآثاره :

تلقى الصولى علومه ومعارفه على أشهر أساتذة عصره منهم : أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى (ت ٢٧٥ هـ) ، أبو العيناء محمد بن القاسم بن خلاد البَصْرى الضرير (ت ٢٨٣ هـ) ، ومحمد بن يونس البصرى المعروف بالكُدَيمى (ت ٢٨٦ هـ) ، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٥ هـ) ، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) وغيرهم كثير [٤] .

كما تتلمذ على يديه علماء أجلاء منهم أبو أحمد العسكرى (ت ٣٨٢ هـ) [٥] ، وأبو بكر بن شاذان (ت ٣٨٣ هـ) ، وأبو عبيد الله محمد بن عمران المرزبانى

(١) من الوافر ، لم أقف على قائله .

(٢) الأوراق (أخبار الراضى) : ٣٨-٤٠ .

(٣) أخبار أبى تمام : ٧٩ .

(٤) ينظر : إنباه الرواة : ٣/ ٢٣٤ .

(٥) ينظر : لسان الميزان : ٧/ ٥٨٤ ، المصون فى الأدب : (ج) ترجمة المحقق لأبى أحمد العسكرى .

(ت ٣٨٤ هـ) [١] ، وأبو على المحسن بن على التنوخى (ت ٣٨٤ هـ) [٢] ، والدَّارَقُطْنِى (ت ٣٨٥ هـ) وغيرهم [٣] .

وقد أثرى الصولى المكتبة العربية بمؤلفات تشهد له بالصدارة فى فنون مختلفة منها المطبوع والمخطوط والمفقود ، وقد قام بحصرها الدكتور خلف رشيد نعمان [٤] ، فأغنى ذلك عن إعادة ذكره هنا ، غير أن الكتاب الذى بين أيدينا (الشبان) كان ضمن الكتب المفقودة فى هذا الحصر ، وسنفرد الكلام عنه لاحقا .

وخرج الصولى من بغداد لضيقٍ لحقَه فى آخر حياته ، وتوجه إلى البصرة ، وتوفى رحمه الله بها سنة ست وثلاثين وثلاثمائة[٥] ، وقد شهد له العدول بحسن اعتقاده وقبول قوله ، وجميل طريقته [٦] .

(١) ينظر : معجم الأدباء : ٦/ ٢٦٧٧ ، وفيات الأعيان : ٤/ ٣٥٦ .

(٢) ينظر : نشوار المحاضرة : ١/ ٢٩٨ .

(٣) ينظر : سير أعلام النبلاء : ١٥/ ٣٠٢ .

(٤) ينظر : شرح ديوان أبى تمام للصولى : ١/ ١٠٤ -١١١ .

(٥) ينظر : نور القبس : ٣٤٦ ، معجم الشعراء : ٤٩٨ ، تحـ د/ فاروق أسليم .

(٦) ينظر : تاريخ بغداد : ٤/ ٦٧٦ ، إنباه الرواة : ٣/ ٢٣٤ ، سير أعلام النبلاء : ١٥/ ٣٠٢ ، وفيات الأعيان : ٤/ ٣٥٧ .

مادة الكتاب ومنهج المؤلف

سبب تأليف الكتاب :

لم يدع الصولى المطالع لكتابه يبحث عن سبب تأليفه له ، فقد صرح به فى بداية كتابه ، فقال : « وإِنَّمَا حَدَانَا إِلَى تَأْلِيفِ هَذَا الكِتَابِ مَا وَهَبَهُ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - لأَمِيرِ المؤْمِنِينَ المقْتَدِرِ بِالله - أَدَامَ الله سُلْطَانَهُ ، ومَدَّ أَيَّامَهُ - وخَصَّهُ بِهِ مِنْ وَفَارَةِ العَقْلِ ، وتَكَامُلِ الفَضْلِ ، وجَلِيلِ البَذْلِ ، وبُعْدِ الذِّكْرِ ، وحُسْنِ الرَّأْفَةِ مَعَ ابْتِدَاءِ الحِنْكَةِ ، واسْتِقْبَالِ التَّجْرِبَةِ ، وعُنْفُوَانِ الشَّبَابِ ، ومَا عَضَّدَ الله - جَلَّ وعَزَّ - الوَزِيرَ أَبَا الحَسَنِ - أَيَّدَهُ اللهُ - وَوَفَّقَهُ لَهُ مِنَ الانْزِوَاء إِلَيْهِ ، والوُقُوفِ لَدَيْهِ ، والدِّلَالَةِ عَلَيْهِ ، وَتَرْكِ الرِّضَا إِلَّا بِهِ مَعَ كَثْرَةِ الآرَاءِ ، وتَفَرُّقِ الأَهْوَاءِ ، فَأَتَى الأَمْرَ مِنْ بَابِهِ ، وَأَوْرَدَهُ مَوَارِدَهُ ، وقَرَّبَ بَعِيدَهُ وأَصْلَحَ فَاسِدَهُ ، وآمَنَ خَوْفَه ، وأَسْعَدَ جَدَّهُ ، وَأَوْضَحَ نَهجَهُ ، ولَمَّ شَعَثَ الأُمَّة ، واخْتِلَالَ الدَّوْلَة ، وإِطْفَاءَ نَارِ الفِتْنَة ، كَفَاهُ اللهُ ، وكَفَا بِه ، وأَصْلَحَهُ ، وأَصْلَحَ عَلَى يَدِهِ »[1] .

فكان التقرب إلى الخليفة المقتدر بالله الذى ولى الخلافة وسنه ثلاث عشرة سنة ، والتقرب إلى وزيره أبى الحسن بن الفرات الدافع الرئيس وراء تأليفه لهذا الكتاب .

وقد حاط هذا السبب بما يقنع المطالع بصحة ما يراه فى الخليفة الصغير من استحقاقه للخلافة ، فيقول : « والسِّنُ لَا تُقَدِّمُ مُؤَخَّرًا ، ولَا تُؤَخِّرُ مُقَدَّمًا ، بَلْ رُبَّمَا عُدِلَ بِجَلِيلِ الأُمُورِ ، ومُهِمِّ الخُطُوبِ إِلَى كَلِمَةِ الفِتْيَانِ ؛ لاسْتِقْبَالِ أَيَّامِهِم وسُرْعَةِ

(١) النص المحقق : ٦٩ ، ٧٠ .

حَرَكَتِهِم ؛ ولأَنَّهُم عَلَى ابْتِنَاءِ المجْدِ وبُعْدِ الصَّوْتِ أَحْرَصُ ، وإِلَيْهِ أَحْوَج »[١] .

المحتوى والمنهج العام :

تنوعت مادة الكتاب فى الاستدلال على مناقب الشبان فى ضروب مختلفة ، صدرها ببعض الآيات التى اختص الله بها بعض الأحداث من الأنبياء والصالحين ، وعرض لتأويلها بما أثر عن النبى ﷺ والصحابة والتابعين .

ثم عرض لمن ولاه رسول الله من الأحداث كعلىٍّ بنِ أَبِى طَالِب ، وعَبْدِ الله بنِ عُمَر ، وسعدِ بنِ أَبِى وقَّاصٍ ، وقَيْسِ بنِ سَعْدِ بن عبادة ، وعَتَّاب بن أَسِيْد ، وأسامةَ بنِ زيدٍ - رضوان الله عليهم أجمعين .

وتلا ذلك بمن حفظ الحديث عن النبى ﷺ وتفقه فى الدين وسنه دون العشرين كمعاذ بن جبل ، والحَسَنِ والحُسَيْنِ ابْنَىْ على بن أبى طالب ، والفَضْلِ وعَبْدِ الله ابْنَى العباس عمِّ رسول الله ﷺ ، والحسنِ البصرى ، والشافعىِّ ، ومنهم من ولى القضاء كيَحْيَى بن أَكْثَم .

ثم ذكر من ولاه الصحابة - رضوان الله عليهم - على الأمصار وهو فى سن مبكرة ، كتولية أبى بكر الصديق ليزيد بن أبى سفيان ربعَ الجيش بالشام ، وهو حدث ، وكان أبوه تحت لوائه ، وولَّى عثمانُ بن عفان عبدَ الله بن عامر بن كُرَيْز البصرة وسنه سبع عشرة سنة مكان أبى موسى الأشعرى ، وولَّى علىّ بن أبى طالب محمدَ بن أبى بكر مِصْرَ ، وسنه بضع وعشرون ، وولى عبدُ الله بن الزبير ابنَه حمزةَ البصرةَ بعد بلوغه .

ثم ذكر من وُلِّىَ الخلافة فى سن مبكرة كأبى العباس السفاح ، والمعتز بالله

(١) النص المحقق : ٧١ .

زبير بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد ، وغيرهما ، ولم يذكر أحدا من خلفاء بنى أمية متعللا بقوله : « ... وتَرَكْتُ أَيْضًا خُلَفَاءَ بَنِى أُمَيَّة ، ومَنْ وُلِّىَ مِنْ أَحْدَاثِهِم ؛ لأَنِّى قَصَدْتُ أَهْلَ الفَضْلِ والحَقِّ و الاسْتِئهَالِ مِنَ الخُلَفَاءِ »[١] .

ولا يخفى ما فى هذه العبارة من تعصب سياسى لبنى العباس إما ميلا إليهم أو تحاشيا لما قد يوغر الصدر عليه ، وإن كان لم يغفل ذكر من وُلِّىَ الإمارة وقاد الجيوش فى سن مبكرة فى عهد الخلفاء من بنى أمية ، فذكر أن عبيد الله بن زياد وَلِىَ خرسان لمعاوية ، وسنُّه ثلاث وعشرون سنة ، ووُلِّىَ بشرُ بن مروان العراقين وتوفى بالبصرة أميرا ولم يبلغ العشرين ، وأن الحجاج وَلَّى محمد بن القاسم بن محمد بن الحكم قتال الأكراد بفارس ، وسنه سبع عشرة سنة ، وذكر كذلك أن يزيد بن المهلب استخلف ابنه مخلدا على الكوفة وله عشر سنين ، ومات صبيا ، وقال فيه عمر بن عبد العزيز : « لَوْ أَرَادَ الله بِأَهْلِ هَذَا البَيْتِ خَيْرًا لَأَبْقَى لَهُم هَذَا الغُلَام »[٢] .

كما ذكر من الأمراء الشبان أبا مسلم الخرسانى ، وأنه ناصر دولة بنى العباس وسنه إحدى وعشرون سنة .

وختم كتابه بالحديث عن الأحداث من الفرسان والشعراء كربيعة بن مُكَدَّم وحِصْن بن حذيفة وصخر بن عمرو بن الشريد ، وهاشم بن عبد مناف ، وطرفة بن العبد .

ولا شك أن ذكره لبعض الجاهليين من الفرسان والشعراء فيه خروج عن

(١) النص المحقق : ١٠٤ .

(٢) النص المحقق : ٩٩ .

الإطار الزمنى الذى حده لنفسه فى جمع مادة كتابه ، إذ يقول : « وَمِمَّنْ مَلَكَ الأَرْضَ وسَارَ بِجَيْشِهَا ، وَلَهُ أَرْبَعَ عَشْرَة سَنَةً ، ... الإِسْكَنْدَرُ ، إِلَّا أَنِّى طَوَيْتُ أَوْصَافَهُ ، لِأَنَّ قَصْدِى مَنْ كَانَ مُذْ عَهْدِ النَّبِىِّ ﷺ ، ولَو تَعَدَّيْتُ ذَلِكَ لَجِئْتُ مِنْ مُلُوكِ الأَعَاجِمِ وَأُمَرَائِهِم وحُكَمَائِهِم مَنْ يَزِيدُ عَلَى هَذِه العِدَّة »[1] .

عرض الصولى مادة كتابه فى أسلوب أدبى معتمدا على الآيات القرآنية ، والآثار والمرويات الأدبية ، والأشعار ، والأخبار ، مظهرا قدراته المتعددة فى الإلمام بها والتعليق عليها بتوضيحها واستنباط الأحكام منها ، وتصحيح بعضها وذكره لاختلاف الرواية فيها ، أو تصحيح نسبتها إلى قائليها.

الشواهد القرآنية :

كان مجمل الشواهد القرآنية التى استدل بها الصولى على فضل الشبان تسع آيات ، ومن هذه الآيات التسع قراءة سبعية واحدة فى قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ ﴾ (يوسف : ٦٢) .

فجمع الآثار الواردة عن النبى ﷺ والصحابة والتابعين فى تفسير هذه الآيات ليدلل على فضل تمكين الشباب والاعتماد عليهم والاستعانة بهم .

الأحاديث والآثار :

ساق الصولى اثنى عشر موضعا ذكر فيها بعض الأحاديث التى استعان فيها النبى ﷺ بالشبان واعتمد عليهم ، إذ يأتى بأكثر من رواية للحديث فى الموضع الواحد فيكون فى كل رواية ملمح خاص ربما لم تفده الرواية الأخرى .

وربما يأتى بالحديث ليستنبط منه حكما شرعيا كالذى استنبطه من الفرق

(١) النص المحقق : ١٠٤ .

بين الرجال والصبيان فى حديث عبد الله بن عمر حين رده رسول الله يوم أحد وسنه أربع عشرة سنة ، وأجازه يوم الخندق وسنه خمس عشرة سنة ، وإجازته لشهادة الصبيان بالاستناد إلى الكتاب الذى بعثه رسول الله إلى ثقيف مذيلا بشهادة الحسن والحسين بجانب شهادة أبيهما .

وربما يأتى بحديث يتعارض ظاهر لفظه بنص حديث آخر فيقوم الصولى بالتوفيق بينهما ، كما فى حديث أسامة حين بعثه النبى ﷺ إلى (أُبْنَى) ، وأمره بالتحريق ، فيتدخل الصولى ليزيل الإشكال بين التحريق فى هذا الحديث ونهيه ﷺ عن التعذيب بالنار فى حديث آخر ، وقد بينتُ مجانبته للصواب فى الحديث عن إبراز بعض ملامح فكره اللغوى .

وقد ينبه الصولى على التصحيف الذى يصيب بعض ألفاظ الحديث كتنبيهه على تصحيف (أُبْنَى) إلى (أُبْلَى) ، فيوضح الدلالة المكانية لكلا الموضعين مرجحا رواية النون بأدلة صحيحة .

وربما يأتى بالأثر ، يتنازع فيه اثنان كتنازع قيس بن سعد بن عبادة وعلى بن أبى طالب فى راية سعد بن عبادة يوم الفتح ، فيصحح الصولى دَفْعَ الراية لقيس برواية المغيرة بن محمد المهلبى ، وفيها : « ... فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : يَا قَيْسُ، خُذْ لِوَاءَ أَبِيكَ . وقَالَ سَعْد : قَيْسٌ عُرْضَةٌ للمَهَالِك ، وقَيْسٌ كَسَعَدٍ غَيْرَ أَنَّ فَضِيلَتِى بِسِنِّى ، وَإِنِّى مَدَدُه للمَهَالِك »[1] .

وتجدر الإشارة إلى أن الصولى ربما أتى بنص للحديث يخالف ما جاءت به الروايات المختلفة له ، مما يدعو إلى الظن بتصرفه فى رواية بعض ألفاظه كما فى

(١) النص المحقق : ٧٩ .

حديث النبى ﷺ للفضل بن عباس ، ورواه كذلك لعبد الله بن عباس « يا غلام احْفَظْ أَمْرَ الله يَحْفَظْكَ ...إلخ »[١] .

الشعر :

يعد الشعر أهم الروافد التى اعتمد عليها الصولى فى جمع مادة كتابه ، فبلغ عدد الشعراء الذين ذكرهم وروى بعض أشعارهم ستة وعشرين شاعرًا فى أزمنة مختلفة ، منهم الجاهليون ، والمخضرمون ، والإسلاميون ، والأمويون ، والعباسيون .

وبلغ عدد الأبيات والأرجاز التى أوردها فى كتابه سواء كانت مفردة أو فى مقطوعات شعرية ثلاثة وتسعين بيتا ، نسب أغلبها إلى قائليها ، يستثنى من جملتها أربعة مواضع ، أحدها مقطوعة من سبعة أبيات لأم معدان الأنصارية ، وثانيها بيتان مختلف فى نسبتهما بين يزيد بن الحكم ، وزياد الأعجم ، وحمزة بن بيض ، والثالث بيت لعمرو بن أحمر ، والرابع لم أعثر على قائله .

واهتم الصولى كذلك بتصحيح نسبة الأبيات إلى قائليها ،وقد جاء مثل ذلك فى تعليقه على قول الشاعر :

إِذَا مَا الحَىُّ عَاشَ بِعَظْمِ مَيْتٍ فَذَاكَ العَظْمُ حَىٌّ وَهْوَ مَيْتُ

كما تميزت روايته لبعض الأبيات ببعض التصحيحات والانفرادات التى لم أجدها عند غيره ، كإنشاده لقول سعد بن عبادة فى فتح مكة :

اليَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَهْ اليَوْمُ تُسْبَى الْحُرَمَهْ

إذ لم ينشده أحد من الرجز فيما وقفت عليه من المصادر سواه ، والذى

(١) النص المحقق : ٨٦ .

اشتهر فى كتب التراجم والسير (تُسْتَحَلُّ الحُرَمَه) [١] ، فصارت الرواية لديهم من نثر القول .

كما انفرد الصولى برواية بعض الأبيات التى لم أعثر عليها عند غيره كروايته لأبيات سعد بن عبادة :

لَقَدْ شَمَتَتْ حَتَّى اسْتَخَفَّتْ ... لِصَرْفِ لِوَائِى اليَوْمَ فِهْرُ بْنُ مَالِكِ

وَقُذْ غَشِيَتْهُمْ وَطْأَةٌ خَزْرَجِيَّةٌ ... لَهَا نَبَأٌ فِيهِ اجْتِثَاثُ الحَوَارِكِ

فَلَوْلَا رَسُولُ اللهِ واللهُ غَالِبٌ ... عَلَى أَمْرِهِ دَاسَتْهُمُ بِالسَّنَابِكِ

وَلَكِنَّهُم قَامُوا لِلَهْفَةِ حَطْمَةٍ ... أَقَرُّوا لَه فِيهَا بِذُلِّ الرَّكَائِكِ

كما انفردت روايته للبيت الرابع والأخير فيما نسب لأم معدان الأنصارية [٢]، وانفردت روايته عن البحترى فى المعتز بالله :

إِنْ تَلْقَهُ حَدَثًا فِى السِّنِّ مُقْتَبِلًا ... فَإِنَّه نَصَفٌ فِى الرَّأْيِ مُكْتَهِلُ

وعلق كذلك على بعض الأبيات موضحا اختلاف الروايات ودلالة بعض المفردات ، كتعليقه على أبيات مطرود الخزاعى فى ولد عبد مناف ، وبيتى طرفة بن العبد [٣] .

(١) ينظر : المغازى للواقدى : ٢/ ٨٢١ ، الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر : ٢١٨ ، تاريخ دمشق : ٢٣/ ٤٥٤ .

(٢) ينظر النص المحقق : ٨٨ .

(٣) ينظر النص المحقق : ٨٩ ، ١١١ .

الأخبار :

تلك هى المادة التى بها قوام كتابه ، إذ حوت كثيرا من الأقوال المنثورة عن العرب والمحَدِّثين ، والصحابة والتابعين ، وجاءت مروياته لهذه الأخبار محتوية على بعض النكات اللغوية التى أظهرت مهارته اللغوية فى اختيارها ، بل إن اختياره لبعض المفردات والتراكيب يثير قضايا لغوية يتبين من دراستها قصده فى إثارتها ، ويتضح بها منهجه فى سعة روايته ، والتزامه الدقة فى تصويب بعض ألفاظها ، والتحرر من قيود بعض المضيقين فى اللغة بقبول ما رده غيره ، إضافة إلى استعمال بعض الألفاظ والمشتقات المشكلة الدلالة ، يستعرض بها قوة ساعده وتمكنه من أداته التعبيرية ، فضلا عن انفراده ببعض المرويات اللغوية التى يؤكد بها سعة وغزارة حصيلته اللغوية ، واستعماله لما قل من اللغة حتى لا يكاد يعرف، فكأنه يباهى بذلك على غيره ، وينافر بذلك أقرانه ، وقد فصلت ذلك بدراسة بعض نصوصه فى هذا الكتاب فاستظهرت بعض ملامح فكره اللغوى من خلال انتقاء ألفاظه وعباراته واختيار مروياته .

□

من ملامح الفكر اللغوى لدى الصولى
فى انتقاء ألفاظه وعباراته واختيار مروياته

المستوى الصوتى :

صوت الجيم اليمنية :

خَرَّاج ، وَلاج :

روى الصولى عَنْ أَبِى بَكْرٍ الهُذَلِيِّ قَالَ : « لَـمَّا بَلَغَ أَبَا مُوسَى أَمْرُ ابْنِ عَامِرٍ ، خَطَبَ النَّاسَ فقَالَ : سَيَقْدُمُ عَلَيْكُم غُلَامٌ خَرَّاكٌ ، وَلَّاكٌ ، يريد (خَرَّاجٌ ، ولَّاجٌ) ؛ ولَكِنَّهَا مِنْ لُغَتِهِم يَمَانِيَّة ، يَجْعَلُونَ الجِيمَ بَيْنَ الكَافِ والقَافَ ، خَرَّاجٌ ولَّاجٌ كَرِيمُ الجَدَّاتِ والعَمَّاتِ تَجْتَمِعُ لَهُ الجُنْدَان »[1] .

لعل أهم ما فى رواية الصولى بيان مخرج هذه الصورة الصوتية (allophones) لصوت الجيم ، ونسبتها لأهل اليمن بالاعتماد على خطبة أبى موسى ، وقد سبقت إشارة سيبويه لهذه الجيم فى حصره لأصوات العربية ، غير أنه لم يمثل لها ، فقال : « ... وتكونُ اثنينِ وأَرْبَعِينَ حَرْفًا بِحُرُوفٍ غَيْرِ مُسْتَحْسَنَةٍ ولَا كَثِيرَةٍ فى لُغَةِ مَنْ تُرْتَضَى عَرَبِيَّتُهُ ، ولَا تُسْتَحْسَنُ فِى قِرَاءَةِ القُرْآنِ ولَا فِى الشِّعْرِ، وهِى الكَافُ التِى بَيْنَ الجِيمِ والكَافِ والجِيمِ التِى كَالكَافِ ...»[2] وتبعه ابن جنى فقال : « وَقَدْ تَلْحَقُ بَعْدَ ذَلِكَ ثَمَانِيَةُ أَحْرُفٍ ، وهِى فُرُوعٌ غَيْرُ مُسْتَحْسَنَةٍ، وَلَا يُؤْخَذُ بِهَا فِى القُرْآنِ ولَا فِى الشِّعْرِ ولَا تَكَادُ تُوجَدُ إِلَّا فِى لُغَةٍ ضَعِيفَةٍ مَرْذُولَةٍ غَيْرِ مُتَقَبَّلَةٍ ، وهِى الكَافُ التِى بَيْنَ الجِيمِ والكَافِ ، والجِيمُ التِى

(١) النص المحقق : ٩٣ .

(٢) الكتاب : ٤/ ٤٣٢ .

كَالكَافِ ... »[١] ، وعلى الرغم من تقريرهما أن هذه الجيم غير مستحسنة ، ونفيهما أن يكون قد قرئ بها القرآن ، فقد جاءت القراءة بها فى الشَّواذِّ ، فروى الكرمانى : « ﴿ يَلِكَ الكَمَلُ ﴾ (الأعراف: ٤٠) بالكَافِ فِيهِمَا ؛ بِقَلْبِ الجِيمِ كَافًا : لُغَةُ اليَمَنِ »[٢] ، وقال أيضا : « ذَكَرَ الزَّعْفَرَانِيُّ : ﴿ إِذَا كَاءَ نَصْرُ الله ﴾ (النصر : ١) بالكَافِ ، وفِى لُغَةِ اليَمَنِ يَقُولُونَ : ﴿ حَتَّى يَلِكَ الكَمَلُ ﴾ بدل ﴿ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ ﴾ »[٣] ، وعلق الدكتور الموافى الرفاعى البيلى على القراءتين فقال : « يَبْدُو أنَّ هَذِه الكَافَ لَيْسَتْ كَافًا خَالِصَةً ، وَإِنَّمَا هِى حَرْفٌ بَيْنَ الجِيمِ والكَافِ يُشْبِهُ الجِيمَ القَاهِرِيَّةِ أو الجَافَ الفَارِسِيَّة (گ) ونَسَبَهَا ابنُ دُرَيْدٍ فى الجَمْهَرَةِ لأَهْلِ اليَمَنِ ، ويُؤْنَسُ بِصِحَّةِ وَصْفِنَا لهذَا الحَرْفِ أنَّ الخَلِيلَ بنَ أحمدَ فِى أَحَدِ تَحْدِيدَيْهِ لمخرجِ الجِيمِ وَصَفَهَا بِأَنَّهَا مِنْ مَخْرَجِ القَافِ والكَافِ مِنْ بَيْنِ عَكَدَةِ اللِّسَانِ وبَيْنَ اللَّهَاةِ فِى أَقْصَى الفَم ... والتحديد الذى نَقَلْنَاه عَنِ الخَلِيلِ يَنْطَبِقُ عَلَى الجيمِ الكَافِيَّة ، قَالُوا: وهِى الجيمُ السَّامِيَّة القَدِيمَة »[٤] .

وإلى جانب القراءتين فقد مَثَّل لهذه الجيم ابن عصفور فى توضيحه لعبارة الكتاب ، فقال : « والجيم التى كالكاف نحو (رَكُلٍ) فى رَجُلٍ »[٥] ، وقال أبو حيان أيضا : « ... وجيمٌ ككافٍ فَرْعٌ عن الجيمِ الخَالصةِ ، يقولون فى رَجُل :

(١) سر صناعة الإعراب : ١/ ٤٦ .

(٢) شواذ القرآن للكرمانى : ١/ ٢٨٠ .

(٣) شواذ القرآن للكرمانى : ٢/ ٩٣٤ .

(٤) شواذ القرآن للكرمانى : ١/ ٢٨٠ (هامش التحقيق : ٢) ، وينظر : كتاب العين : ١/ ٥٨ .

(٥) المقرب : ١/ ٣٢٦ .

رَكُل ، يقربونها من الكاف »[١] ، واهتم كذلك بعض اللغويين المحدثين أيضا فى استيضاح هذه الجيم ، فقال الدكتور تمام حسان : « الجيم التى كالكاف: ولم نجد فى كلام سيبويه تمثيلًا لهذه الجيم ، ولكن ابن عصفور جاء بمثال لها في المقرب أيضًا ، إنّ كلمة (رجل) تصير بهذه الجيم إلى (رَكُل) ragul ، وهو بهذا يجعل هذه الجيم أختًا للجيم القاهرية ، ومطابقة لها تمامًا »[٢] ، وعلق الدكتور كمال بشر بعد أن أشار إلى نص الكتاب ونص أبى حيان ، فقال : « وواضح أن الجيم التى كالكاف فى هذين النصين هى الجيم القَصِيَّةُ الوَقْفَة ، الانفجارية [g] ، إذ هى أختُ الكَافِ فى كلِّ الخَوَاصِّ مَا عَدَا الجَهْرِ فِى الجِيمِ ، والهمْسِ في الكَافِ »[٣]، وهو فى هذا يقصد الجيم التى اصطلح عليها بالقاهرية .

وتبقى نقطة أخيرة هى الإشارة إلى أصالة إحداهما وفرعية الأخرى ، فيرى أبو حيان فى نصه السالف أن الجيم اليمنية هذه أو القاهرية بتعبير المحدثين فرع عن الجيم الفصيحة التى تخرج من مقدم وسط اللسان مع ما يحاذيه من مقدم الحنك ، وكذا يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الجيم القاهرية متطورة عن الجيم الفصحى ؛ لأن الفصحى صوت قليل الشدة على حد تعبيره ، ومن ثَّم يقول : « تطور هذه الجيم العربية إلى الجيم القاهرية ... تبرره القوانين الصوتية ؛ لأنها فى حالة تطورها لم تزد على أن تدرجت بمخرجها إلى الوراء قليلا فقربت

(١) ارتشاف الضرب : ١/ ١٣ ، ١٤ .

(٢) اللغة العربية معناها ومبناها : ٥٥ .

(٣) علم الأصوات اللغوية د/ كمال بشر : ٣١٣ .

من أقصى الحنك ، وبهذا زادت شدةً وانقطع ما يسمى عادة بالتعطيش »[١] ، وهذا تعليل يتوقف قبوله على أن تقطع النصوص بقدم الجيم المعطشة عن الجيم التى كالكاف فى وصف سيبويه ، والتى وصفها الصولى فى لهجة أبى موسى ، وهذا لا شك ليس فى الإمكان إثباته ، بل ربما بالمقارنة بين صوت الجيم المعطشة فى الفصحى وصوت الجيم فى اللغات السامية يتضح أن اليمنية عتيقة عن صورتها فى العربية الفصحى « فالجيم تختلف طبيعته بين اللغة العربية واللغات السامية ، فالجيم فى العربية صوت غاريّ أما فى اللغات السامية شقيقات العربية الفصحى فهو صوت حنكى قصيّ ، أى يخرج من أقصى الحنك ، وهذا الصوت السامى كالجيم القاهرية تماما ، مثال ذلك كلمة (جَمَل) فى العربية ، نجدها فى اللغات السامية الأخرى على النحو الآتى : عبرى : (גמל : gamal) ، سريانى : (ܓܡܠܐ : gamla ، آشورى : gammalu »[٢] ، ولعل نص أبى موسى هذا يفتح الباب أمام تعليلات صوتية لهجية فى بعض صور الإبدال بين الجيم والكاف فى مثل قولهم : مَرَّ يَرْتَجُّ ويَرْتَكّ ، ورجل أَهْوَج وأَهْوَك ، وهى الزِّمِجَّى والزِّمِكَّى ،... [٣] .

(١) الأصوات اللغوية د/ إبراهيم أنيس : ٧٠ .

(٢) دراسة فى علم الأصوات د/ حازم على كمال الدين : ٤٦ .

(٣) ينظر : الأبدال لأبى الطيب : ١/ ٢٤٦ ، ٢٤٩ .

معالجته للتصحيف والتحريف :

أُبْنَى :

قال الصولى : « (وعَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُسَامَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَهُ إِلَى أُبْنَى ، وَقَالَ لَهُ : ائْتِهَا صَبَاحًا ثُمَّ حَرِّقْ) .

وبَعْضُ أَصْحَابِ الحَدِيثِ يَقُولُ : أُبْلَى ، وَأَمَّا الأَصَحُّ فَأُبْنَى ، وهِى بِنَاحِيَةِ البَلْقَاءِ ، الموضِعُ الذِى بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ بِأَبِيهِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ وجَعْفَرِ بنِ أَبِى طَالِبٍ وعَبْدِ الله بنِ رَوَاحَةَ ، وَأَمَّا أُبْلَى فَبِنَاحِيَةِ نَجْدٍ ... »[1] .

علق الصولى على رواية (أُبْنَى) بالنون اسم موضع بالشام من ناحيةِ البَلْقَاء، وذهب أنها أصحُّ من (أُبْلَى) باللام فى رواية بعض المحدِّثين وذكر أنَّ أُبْلَى بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ ، واحتج على أنَّ أُبْلَى باللام موضع بنجد بقول كُثَيِّر[2] :

أُحِبُّكِ مَا دَامَتْ بِنَجدٍ وَشِيجَةٌ وَمَا سُكِنَتْ أُبْلَى بِهِ وَتِعَارُ

وقول الشَّمَّاخِ بنُ ضِرَارٍ أَيْضًا[3] :

فَبَاتَت بِأُبلى لَيلَةً ثُمَّ لَيلَةً بِحَاذَةَ وَاجْتَابَتْ نَوًى عَنْ نَوَاهُمَا

وكان ينبغى وقد صح لديه اختلاف الدلالة المكانية لكلتا اللفظتين أن لا يكون التعبير لديه بِالأَصَحّ ، لأن هذا تعبير قد يفيد صحة رواية الكلمة باللام عند من رواها كذلك ، وكان يتوجب عليه أن يحكم بالتصحيف على رواية الكلمة باللام فى الحديث ، وقد فعل غيره ذلك ، قال أبو عبيد البكرى : « أُبْنَى

(١) النص المحقق : ٨٣ .

(٢) من الطويل فى ديوانه : ٤٢٧ ، وأُبْلَى وتِعَار جَبَلان بِنَجْد .

(٣) من الطويل فى ديوانه : ٣١٤ ، وحَاذَاة: موضع بَيْنَه وبَيْنَ أَبْلَى لَيْلَة .

مَضْمُومَةُ الأَوَّلِ ، سَاكِنَةُ الثَّانِى بَعْدَهُ نُونٌ ، عَلَى وَزْنِ فُعْلَى ، مَوْضِعٌ بِنَاحِيَةِ البَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ ، وهِى التِى رَوَى فِيهَا الزُّهْرِىُّ عَنْ عُرْوَةَ عَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَهُ إِلَى أُبْنَى ، فَقَالَ : ائْتِهَا صَبَاحًا ثُمَّ حَرِّق . ومَنْ رَوَى فِى هَذَا الحَدِيثِ أُبْلَى بِاللَّامِ فَقَدْ صَحَّفَ ؛ لأَنَّ أُبْلَى فِى نَاحِيَةِ نَجْدٍ ... »[١] .

وقد نصت رواية الزُّهْرِىّ للحديث على أَنَّ أُبْنَى مَوْضِعٌ بالشَّام ، قال : « حدثنا عُرْوَةُ عَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيْدٍ أَنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَهُ إِلَى الشَّامِ وَأَمَرَه أنْ يُغِيرَ عَلَى أُبْنَى صَبَاحًا ثُمَّ يُحَرِّق »[٢] .

والرواية بالنون فى جل كتب الحديث [٣] ، وهى الصواب ، وجاءت أيضا فى رواية الزهرى (يُبْنَى) بتخفيف الهمزة [٤] .

وتجدر الإشارة إلى منحى آخر لدى الصولى فى استعراض المفهوم لديه من نص الحديث « ائْتِهَا صَبَاحًا ثُمَّ حَرِّقْ » ، ليخلص إلى قوله : « ... وَقَدْ رُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ نَهَى عَنِ التَّحْرِيقِ بِالنَّارِ فِى آخِرِ أَيَّامِهِ ، فَدَلَّكَ هَذَا عَلَى أَنَّ حَدِيثَ أُسَامَةَ كَانَ قَبْلُ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ> أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله – عَزَّ وجَلَّ »[٥] .

---

(١) معجم ما استعجم : ١/ ١٠١ .

(٢) تاريخ دمشق : ٢/ ٤٧ .

(٣) ينظر : المصنف لابن أبى شيبة : ١٧/ ٥٨٨ ، مسند الإمام أحمد : ٣٦/ ١١٩ ، شرح معانى الآثار للطحاوى: ٣/ ٢٠٨ .

(٤) ينظر المصنف لابن أبى شيبة : ١٧/ ٥٥٠ .

(٥) النص المحقق : ٨٤ .

وهذا المفهوم يمكن مناقشته بالعرض على السياق التشريعى فيما يخص النصوص النبوية الشريفة التى ورد بها التحريق فى الحرب باعتبارها سياقا عاما حتى يَتَسَنَّى إبداء الرأى فيما ذهب إليه بوضع هذا النص وفق فهمه له فى إطار زمنى ابتداء قد نَسَخَهُ ﷺ فى آخر حياته بما رُوِىَ عن ابن عباس .

وينبغى هنا تأريخ بعث أسامة >إلى أُبْنَى حتى نضع النص فى إطاره الزمنى الصحيح ، قال الذهبى فى ترجمة أسامة : « اسْتَعْمَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى جَيْشٍ لِغَزْوِ الشَّامِ ، وَفِى الجَيْشِ عُمَرُ وَالكِبَارُ ؛ فَلَمْ يَسِرْ حَتَّى تُوُفِّىَ رَسُوْلُ الله ﷺ ؛ فَبَادَرَ الصِّدِّيْقُ بِبَعْثِهِمْ ، فَأَغَارُوا عَلَى أُبْنَى ، مِنْ نَاحِيَةِ البَلْقَاءِ »[1] .

فهذا يدل على أن حديث النبى ﷺ لأسامة كان فى العام الذى مات فيه رسول الله ﷺ ، ومن المعلوم أن النص الناسخ ينبغى أن يكون فى الترتيب الزمنى بعد النص المنسوخ ، وهذا غير متحقق لنهيه ﷺ عن تحريق النفس بعد غزوة بدر بشهر واحد حين أرادت زينب بنت رسول الله ﷺ اللحاق بأبيها ، فروَّعها هَبَّار بن الأَسْوَد ونافع بن عبد القيس ، فقال أبو هريرة : « بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِى بَعْثٍ ، فَقَالَ : إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا - لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ - فَأَحْرِقُوهُمَا بالنَّارِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ : إِنِّى كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا بِالنَّارِ ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا اللهُ تَعَالَى ، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا »[2] ، وفى هذا دليل على عدم صحة استدلال المؤلف بحديث أسامة فيما ذهب إليه من كونه منسوخا ، كما أن التحريق هنا لم ينصرف

(١) سير أعلام النبلاء : ٢/ ٤٩٧ .

(٢) مسند أحمد : ١٤/ ١٧٢ .

إلى الأنفس ، وإنما المراد بالتحريق فى حديث أسامة هو حرق الزروع والأشجار والديار ، قال الأَثْرَم وقد ذكر حديث أسامة وغيره : « ... فهذِه الأَحَادِيثُ فى ظَاهِرِها مختلفةٌ ، وَإِنَّمَا الوَجْهُ فِيهَا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِى أنْ يُحَرَّقَ ذُو رُوحٍ بِالنَّارِ ؛ لأَنَّه قَالَ : لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله - عَزَّ وجَلَّ - وَإِنَّمَا يُعَذِّبُ اللهُ بِالنَّارِ الإنسَ والجِنَّ خَاصَّةً . وَإِنَّما جَازَ التَّحْرَيقُ فِى أَرْضِ العَدُوِّ، وفِى مَتَاعِهِم وَمَنَازِلِهِم وكُرُومِهِم ونَخِيلِهِمْ ، يَلْتَمِسُ بِذَلِك غَيْظَهُم »[(١)] ، وهذا مشروط بعدم التيقن من الفتح وصيرورة البلاد إلى ديار الإسلام ترويعا للأعداء ، وإضرارًا بمنافعهم ، وبعث الرعب فى قلوبهم ، أما إذا تيقن من الغلبة فلا يجوز ذلك ؛ لأنه حينئذ يكون تخريبا وإتلافا لمال المسلمين [(٢)] .

وبهذا يتبين أن الصولى لم يوفق فى استيضاح المراد من الحديث ؛ لأنه بنى المعنى على عموم اللفظ دون أن يتخذ من السياق التشريعى فى جملة نصوصه سياجا يستطيع فى حدوده أن ينفذ إلى المقصود ، ولذا انصرف إلى القول بالنسخ، وقد بان عدم الصواب فيه .

أُعَوِّرُ:

قال الصولى : « دَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ الرَّايَةَ يَوْمَ بَدْرٍ ... ، وَأَمَرَهُ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِتَعْوِيرِ آبَارِ بَدْر ، فَكَانَتْ وِلَايَةً مِنْ رَسُولِ الله ﷺ .

وَعَنْ عَلِيٍّ - رَضِىَ الله عَنْهُ - أَنَّه قَالَ : أَمَرَنِى رَسُولُ الله ﷺ لَيْلَةَ بَدْرٍ أنْ أُعَوِّرَ الآبَارَ »[(٣)] .

(١) ناسخ الحديث ومنسوخه للأثرم : ٢٤٢ .

(٢) ينظر : مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح : ٧/ ٤٥٧ .

(٣) النص المحقق : ٧٥ .

كذا روى الكلمة بالعين المهملة تارة بالفعل وتارة بالمصدر ، وقد جاءت الرواية بالغين المعجمة فى بعض كتب الحديث « عَنْ عَلِيٍّ - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قَال : أَمَرَنِي رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ أُغَوِّرَ مَاءَ آبَارِ بَدْرٍ »[١] .

واجتهد ملا على القارى فى توجيه الروايتين بالعين والغين بحيث تتسق كل منهما مع السياق ، فقال : « نُعَوِّر بِتَشْدِيدِ الواوِ المكسورةِ بَعْدَ عَيْنٍ مُهْمَلة ، وقِيلَ : مُعْجَمَةٌ . فَعَلَى الأَوَّلِ ، أى نُفْسِدها عَلَيْهِم ، وعلى الثَّاني ، نُذْهِبها فى الأَرْضِ ، ونَدْفِنها لِئَلَّا يَقْدِروا عَلَى الانْتِفَاع بِهَا »[٢] .

وربما يكون هذا التوجيه للروايتين مقبولا عقلا غير أن الاستعمال اللغوى للفعل (غَوَّرَ) بالغين المعجمة لم يأتِ متعديا ، بل اقتصرت الرواية والشواهد فيه على إيراده لازما فى هذا المعنى وفى غيره ، قال اللحيانى : « غَوَّرَ الماءُ تَغْوِيرًا ، إذَا ذَهَبَ فِي العُيونِ »[٣] ، قال الشاعر [٤] :

لَمْ تَرْوَ حَتَّى غَوَّرَتْ وَرِيمَ بِي ... وَرِيمَ بِالسَّاقِي الذِى كَانَ مَعِى

وكذا غَوَّرَتِ النُّجُومُ إِذَا غَابَت ، قال تأبط شرًّا [٥] :

وَلَيلٍ بَهِيمٍ كُلَّما قُلتُ غَوَّرَتْ ... كَواكِبُهُ عَادَتْ فَمَا تَتَزَيَّلُ

وقال النابغة الجعدى [٦] :

(١) السنن الكبرى للبيهقى : ٩/ ١٤٥ ، حلية الأولياء : ٤/ ٣٦٧ .

(٢) شرح الشفا : ٢/ ٣٣٩

(٣) أمالى القالى : ١/ ٦٠ .

(٤) من الرجز دون نسبة فى الأفعال للسرقسطى : ٣/ ١٠٠ .

(٥) من الطويل فى ديوانه : ١٦٠ .

(٦) من الطويل فى ديوانه : ٥٦ .

وَجاهَدتُ حَتّى ما أُحِسُّ وَمَنْ مَعِى سُــهَيلًا إِذَا مَــا لَاحَ ثُمَّــتَ غَــوَّرَا

وقال ذو الرمة [١] :

فَبِتنــا كَأَنَّــا عِنــدِ أَعطــافِ ضُــمَّرٍ وَقَـد غَـوَّرَت أَيـدى النُجـومِ الـرَوادِفِ

واستعمال الفعل (غَـوَّر) بـالغين المعجمـة لازمـا فى فصيح القـول وصـحيح الروايـة ، يبعـث الشـك فى روايـة مـن روى الفِعْـلَ (أُغَـوِّر) فى الحـديث بـالغين ، إذ اسْتُعْمِل الفِعْل فى هذه الرواية متعدِّيًا ، وهـو مـا لم أقـف عـلى صـحته ، بالإضـافة إلى تضعيف الحديث من خلال السند بالطعن فى راوييه (أبى ربيعة العامرى ، ويوسف بن خالد بن عُمَـير) [٢] ، كـما جـاء نفـس الحـديث بروايـة يوسـف بـن خالـد بـن عمير، والفعل فيها (أُعَوِّرُ) بالعين المهملة [٣] .

فالفعل (عَوَّرَ) بالعين المهملة هو المتعدى ، قال شَمِر : « عَوَّرتُ عُيُونَ المِيَاهِ ، إِذا دَفَنْتَهَا وسَدَدْتَهَا وعَوَّرْتُ الرَّكيَّة ، إِذا كَبَسْـتَهَا بـالتُّراب حَتَّـى تَنْسَـدّ عُيُونُهـا »[٤] ، قال العجاج [٥] :

قَــد جَــبَرَ الــدِّينَ الإِلَــهُ فَجَبَــرْ وَعَــوَّرَ الــرَّحمَنُ مَــنْ وَلَّى العَــوَرْ

(١) من الطويل فى ديوانه بشرح أبى نصر : ٣/ ١٦٢٨ .

(٢) فى سلسلة سنده أبو ربيعة العامرى محمد بن عوف ، وقيل فهد بن عوف ، وكذا رواه يوسف بن خالد بن عُمَير السَّمْتِيُّ ، وكلاهما ضعفه البيهقى ، ينظر : السنن الكبرى للبيهقى : ٩/ ١٤٥ ، وهما من المتروكين فى كتب الرجال . ينظر : الضعفاء والمتروكون لابن الجوزى : ٣/ ١١ ، تهذيب الكمال فى أسماء الرجال : ٣٢/ ٤٢١ .

(٣) ينظر مسند أبى يعلى الموصلى : ١/ ٤٢٢ ، مجمع الزوائد : ٦/ ٨٠ .

(٤) تهذيب اللغة : (عور) ٣/ ١٧٢ .

(٥) من الرجز فى ديوان العجاج : ١/ ٢ .

« أي: عَمَّاهُ عَنِ الـهُدَى »[١] ، فسَدَّ طَرِيقَ الهدَايَةِ عَنْه فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ .

كما أنَّ رواية الفعل بالعين المهملة هى الثابتة فى مرويات بعض اللغويين من المحدِّثين[٢] ، بل هى رواية من اهتم بتصحيح التصحيف فى روايات المحدِّثين ، فقد روى العسكرى قول الحُبَابِ بن المنذر – رضى الله عنه – « ... فَانْهَضْ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى قَلِيبٍ إِلَى الْقَوْم ، فَنَنْزِلَه ثمَّ نُعَوِّرَ مَا سِوَاه مِنَ القُلُبِ »[٣] .

ومن خلال البحث فى رواية الحديث الذى أورده الصولى وبمقارنته برواية غيره ممن أثبت الفعل بالغين المعجمة ، تتأكد صحة رواية الصولى للفعل بالعين ، مما يكشف ذلك عن وعيه وحرصه فى اختيار مروياته ، ومعرفته الثاقبة باستعمالات الصيغ فى حال تعديها ولزومها .

من قضايا التركيب :

الفصل بين المضاف والمضاف إليه بالعطف على المضاف :

قال الصولى : « وذَكَرْنَا مَنْ قَدَّمَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَوَلَّاهُ لِكَفَاءَتِه ، ... ومَنْ وُلِّيَ مِنَ الخُلَفَاءِ عَلَى مَشَايِخِ وخُبْرَةِ أَهْلِهِ »[٤] .

هذا النمط من التركيب لم يجز عند بعض النحويين فى سعة الكلام ، وإنما

(١) المفضليات بشرح ابن الأنبارى : ٨٣٤ .

(٢) المجموع المغيث : (عور) ، النهاية فى غريب الحديث والأثر : (عور) ، اللسان : (عور) ، الطراز الأول : (عور) .

(٣) تصحيفات المحدثين : ٢/ ٤٠٥ .

(٤) النص المحقق : ٦٩ .

قصروه على ضرورة الشعر ، وأنشد سيبويه مِثْلَه فى قولِ الأَعْشَى[١] :

إِلَّا عُلَالَـــــــةَ أَوْ بُـــــــدَا (م) هَـــةَ قَـــارِحٍ نَهْـــدِ الـــجُزَارَهْ

وأنشد للفرزدق[٢] :

يَـــا مَـــنْ رَأَى عَارِضًـــا أُسَرُّ بِـــهِ بَـــيْنَ ذِراعَـــىْ وجَبْهَـــةِ الأَسَـــدِ

وعلق على ذلك ، فقال : « فهذا قبيح ، وَيَـجُوزُ فى الشِّعْرِ عَلَى هَذَا مَـرَرْتُ بِخَيرٍ وَأَفْضَلِ مَنْ ثَمَّ »[٣] .

وتقدير الكلام فى ذلك قبل الفصل لدى سيبويه ومن تبعه : (إلا عُلَالَـة قَـارِحٍ أو بُدَاهَتَـه) ، وكـذا (بـين ذِرَاعَـىْ الأَسَـدِ وجَبْهَتِـه) فلمـا احتـاج إلـى الاختصار حذف الضمير وأقحم الاسم المعطوف بين المضاف والمضاف إليه[٤]، وقَدْ خَالَفَهُ فى ذلك بعضهم[٥] .

وإذا كان سيبويه قد قصر مثل هذا التركيب على ضرورة الشعر ، فقد روى الكسائى عن العرب : « اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَأَفْضَلِ وَأَطْيَبِ مَا صَلَّيْتَ عَلَى نَبِيٍّ مِنْ أَنْبِيَائِكَ »[٦] .

(١) من مجزوء الكامل فى ديوانه : ١٥٩ ،وهو له فى الكتاب : ١/ ١٧٩ .

(٢) من المنسرح ليس فى ديوانه ، وهو له فى الكتاب : ١/ ١٨٠ .

(٣) الكتاب : ١/ ١٨٠ .

(٤) ينظر : الخصائص : ٢/ ٤٠٧ ، سر الصناعة : ١/ ٢٧٩ ، تحصيل عين الذهب : ١٤٨ .

(٥) خالفه المبرد إذ يرى أنه ليس ثمة فصل بين المضاف والمضاف إليه ، وإنما التقدير لديه حذف المضاف إليه الاسم الأول لدلالة الثانى عليه ، ومن ثم فالتقدير لديه (إلا علالة قارح أو بداهة قارح) ، (وبين ذراعى الأسد ، وجبهة الأسد) . ينظر المقتضب : ٤/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ ، ضرائر الشعر لابن عصفور : ١٩٥ .

(٦) المذكر والمؤنث لابن الأنبارى : ٢/ ١٩٠ .

ورَوَى الفَـرَّاءُ مِثْلَـه أيضـا فى منثـور الكـلام إلا أن ذلـك مشـروط لديـه ، فقال : « سَمِعْتُ أَبَا ثَرْوَانَ العُكْلِيّ يَقُولُ : قَطَعَ الله الغَدَاةَ يَدَ ورِجْلَ مَنْ قَالَه . وَإِنَّما يجوزُ هذَا فِى الشَّيْئَينِ يَصْطَحِبَانِ ، مِثْل اليَدِ والرِّجْلِ ، ومِثْل قولِه : عِنْدِى نِصْفُ أو رُبْعُ دِرْهَم ، وجِئْتُكَ قَبْلَ أو بَعْدَ العَصْرِ . ولَا يَجُوزُ فِى الشَّيْئَينِ يَتبَاعَدَانِ، مِثْل الدَّارِ والغُلَام : فَلا تُجِيزَنَّ : اشْتَرَيْتُ دَارَ أو غَـلَام زَيْـدٍ ، ولَكِـن عَبْـدَ أو أَمَـةَ زَيْد ، وعَيْنَ أو أُذَنَ ، ويَدَ أو رِجْلَ ، ومَا أَشْبَهَهُ »[1] .

وبالنظر إلى تعبير الصولى نجده قد استوى على شرط الفـراء ، (فمَشَـايخ وخُـبْرَة) فى الاصـطحاب (كاليـد والرجـل)، (والعبـد والأمـة) ، (وأفضـل وأطيب) ، وهذا إن دَلَّ فإنما يدل على إدراكـه مضـاهاة عبارتـه لصـحيح الروايـة بالقيد المذكور ، وإن قلَّ مثل هذا فى استعمال الفصحاء .

المعنى :

تحريره لمعانى الصيغ :

الاستئهال :

قال الصولى : « ... وتَرَكْتُ أَيْضًا خُلَفَاءَ بَنِى أُمَيَّة ، ومَنْ وُلِّىَ مِنْ أَحْدَاثِهِم؛ لأَنِّى قَصَدْتُ أَهْلَ الفَضْلِ والحَقِّ و الاسْتِئهَالِ مِنَ الخُلَفَاءِ »[2] .

يعنى بالاستئهال : الاستحقاق ، وقد أنكر بعض أهل اللغة استعمال الكلمة فى هذا المعنى ، قال ابن قتيبة أيضا : [3] « يَقُولُونَ : فُلَانٌ مُسْتَأهِلٌ لِكَذَا ،

(١) معانى القرآن للفراء : ٢/ ٣٢٢ .

(٢) النص المحقق : ١٠٤ .

(٣) أدب الكاتب : ٤١٢ ، وينظر مثله فى درة الغواص : ١٢٥ .

وهو خَطَأٌ، إِنَّمَا يُقَالُ : فُلانٌ أَهْلٌ لِكَذَا، وَأَمَّا المسْتَأْهِل فَهُوَ الذِى يَأْخُذُ الإِهَالَة ، قَالَ الشَّاعِر[١] :

لَا بَلْ كُلِى يَا مَىُّ واسْتَأْهِلِى إِنَّ الذِى أَنْفَقْتُ مِنْ مَالِيَهْ »

وقد أشار الزجاجى أيضا إلى تخطئة هذا الاستعمال ، بعد أن أنشد قول خالد الكاتب فى إبراهيم بن المهدى حين بويع بالخلافة[٢] :

كُن أنتَ للرَّحْمَةِ مُستَأْهِلاً إن لم أُكُن مِنْكَ بمُسْتَأْهِلِ

فقال : « مُسْتَأْهِل : ليسَ مِن فَصيحِ الكَلام ، وإِنَّمَا المسْتَأْهِل الذِى يَأْخُذُ الإِهَالَة ، وقَوْلُ خَالِدٍ لَيْسَ بِحُجّة ، لِأَنَّهُ مُوَلَّد »[٣] .

وحكى الأزهرى مثل هذا أيضا فى أحد نصيه ، فقال : « رَوَى أَبُو حَاتِمٍ فى (كِتَابِه فِى المُزَالِ والمُفْسَدِ) عَنْ الأَصْمَعِىِّ : يُقَالُ : اسْتَوْجَبَ ذَاكَ واسْتَحَقَّهُ، ولَا يُقَالُ اسْتَأْهَلَهُ، ولَا أَنْتَ تَسْتَأهِلُ ، وَلَكِن يُقَالُ : هُو أَهْلُ ذَاكَ ، وأهلٌ لِذَاك ، ونَحْوُ ذَلِكَ قَالَ أَبُو زَيْدٍ »[٤].

قال الأزهرى فى موضع آخر : « ... وخَطَّأ بعضُ النَّاس قولَ القائلِ: فُلانٌ يَسْتَأهِل أَنْ يُكرَمَ ، بمعنى يَسْتَحِق الكَرَامَةَ، وَقَالَ: لَا يكون الاسْتِئْهَال إِلَّا مِنَ

(١) من السريع لعمرو بن أسوى مِنْ عبد القيس فى المعانى الكبير : ١/ ٣٨٢ ، شرح أدب الكاتب للجواليقى : ٢١٨ ، تاج العروس : (أهل) .

(٢) من السريع فى ديوانه : ٤٠٩ .

(٣) التنبيه والإيضاح لابن برى : (أهل) ، وينظر إنكار الاستئهال بمعنى الاستحقاق فى : درة الغواص : ١٢٥ ، شمس العلوم : ١/ ٣٥٠ ، تصحيح التصحيف : ٥٥٦ .

(٤) تهذيب اللغة : (وهل) ٦/ ٤٢٠ .

الإِهَالةِ، وَأَجَازَ ذَلِكَ كثيرٌ من أَهْلِ الأَدَبِ . وأمَّا أنَا فَلا أُنْكِرُه ولَا أُخطِّئُ من قالَهُ، لأَنِّي سَمِعْتُه، وقَد سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا فَصِيحًا مِن بَنِى أَسَد يَقُولُ لِرَجُلٍ أُولِيَ كَرامَةً : أَنْتَ تَسْتَأهِل مَا أُوْلِيتَ ، وَذَلِكَ بِحَضْرَةِ جَمَاعَةٍ مِنَ الأَعْرَاب ، فَمَا أَنكَروا قَوْلَه، ويُحقِّق ذَلِكَ قولُ الله – عَزَّ وجَل – : ﴿ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴾(المدثر: ٥٦) .

قال الأزهرى : والصَّوَابُ مَا قَالَهُ أَبُو زَيْدٍ والأَصْمَعيُّ وَغَيْرُه ، لأنَّ الأَسَدِيَّ أَلِفَ الحاضرةَ فَأَخَذَ هَذَا عَنْهُم »[1] .

وكلام الأزهرى فى نصه هذا إن صح عنه ولم يشب نصه تخليط كلامه بكلام غيره أو حدوث سقط ، فإن كلامه يناقض بعضه بعضا ، فكيف لا يُخَطِّئ من استعمل الاستئهال بمعنى الاستحقاق بالاعتماد على قول الأسدى فى حضرة جماعة من الأعراب ، ثم ينتصر بعد ذلك لتخطئة الأسدى بالقدح فى فصاحته، وأنه استفاد ذلك من الحاضرة التى ألفها ! ونتج عن تناقض الحكم فى النص اقتصار بعض من نقل عنه نصه هذا على ما ذكره فى بداية كلامه دون أن يذكر تعقيبه الأخير الذى يناقض به كلامه الأول [2] ، ولذا يترجح أن يكون هذا التعقيب حاشية لبعض المحشين قد أدرجت فى متن الكتاب ، ويقوى هذا خلو بعض النسخ من هذا التعقيب وفقا لما أشار إليه المحقق [3] .

وبافتراض رجوع الأزهرى عن رأيه الأول وموافقته للأصمعى بالامتناع عن قبول هذا الاستعمال ، فإن الأصمعى نفسه لم يَثْبُت موقفه فيه على هذا الحكم ،

(١) تهذيب اللغة : (أهل) ٦/ ٤١٨ ، ٤١٩.

(٢) التكملة والذيل والصلة للصغانى : (أهل) ، اللسان : (أهل) ، تاج العروس : (أهل) .

(٣) تهذيب اللغة : (أهل) ٦/ ٤١٩ (الهامش : ٢) .

كيف وقد روى عن بعض الأعراب استعمالهم للاستئهال بمعنى الاستحقاق فى غير موضع ، فحكى ابن دريد عن الأصمعى : « قالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَدْعُو بِعَرَفَاتٍ ، فَقَالَ: اللَّهم إِنَّ ذُنُوبِى لم تُبْقِ لى إِلَّا رَجَاءَ عَفْوِك ، وقَدْ تَقَدَّمْتُ إِلَيك يَا إِله الذُّنُوبِ ، فَامْنُن عَلَيّ بِمَا لَا أَسْتَأْهِل »[1] ، وقال القاضى المعافى بن زكريا : « قَرَأْتُ فِى كِتَابٍ عَن عَبْدِ الملكِ بنِ قُرَيبٍ الأَصْمَعِيّ ، قال : دَخَلَ أَعْرَابِى عَلَى خَالِد بنِ عَبْدِ الله القَسْرِيّ ، ... فَقَالَ لَهُ خَالِدُ بنُ عَبْدِ الله : سَلْ يَا أَعْرَابِيّ ، قَالَ: وَقَدْ جَعَلْتَ المسْأَلَةَ إِلَيَّ – أَصْلَحَ اللهُ الأَمِير؟ قَالَ: نَعَم .

قَال: مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ، قَالَ: أَكْثَرْتَ يَا أَعْرَابِيّ ، قَالَ: فَأَحُطُّكَ – أَصْلَحَ الله الأميرَ ؟ قَالَ: نَعَم ، قال: قِدْ حَطَطْتُكَ تِسْعِينَ أَلْفًا، قَالَ لَهُ خَالِد : يَا أَعْرَابِى مَا أَدْرِى مِنْ أَيِّ أَمْرَيْكَ أَعْجَبُ؟

فَقَالَ لَه : – أَصْلَحَ اللهُ الأَمِيرَ– إِنَّكَ لما جَعَلْتَ المسْأَلَةَ إِلَيَّ سَأَلْتُكَ عَلَى قَدْرِكَ ومَا تَسْتَحِقُّه فِى نَفْسِك، فَلَمَّا سَأَلْتَنِى أَنْ أَحُطَّ ، حَطَطْتُ عَلى قَدْرِى ومَا أَسْتَأْهِلُه فِى نَفْسِى ، فَقَالَ لَه خَالِد: والله يَا أَعْرَابِى لَا تَغْلِبَنِّي، يَا غُلَام، مِائَةَ أَلْف، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ »[2] .

كما استجاز كثير من اللغويين استعمال الاستئهال بمعنى الاستحقاق [3] ، قال الزمخشرى : « ... وقَدِ اسْتَأْهَلَ لِذَلِكَ ، وهُوَ مُسْتَأْهِل لَهُ ، سَمِعْتُ أَهْلَ الحِجَازِ

(١) تعليق من أمالى ابن دريد : ١٩٣ .

(٢) الجليس الصالح : ١/ ٤٦٧

(٣) المحكم : (أهل) ٤/ ٢٥٦ ، المدخل إلى تقويم اللسان : ٤٧٧ ، عقد الخلاص فى نقد كلام الخواص لابن الحنبلى : ١٨٠ ، ١٨١ ، تاج العروس : (أهل) .

يَسْتَعْمِلُونَهُ اسْتِعْمَالًا وَاسِعًا »[١] ، ونقل الشَّهاب الخفاجى من حواشى ابن ظَفَر: « أَنَّهُم قَالُوا : هُو أَهْلٌ لِكَذَا وقَدْ تَأَهَّلَ لَهُ ، واسْتَاهَلَ اسْتَفْعَلَ مِنْهُ ، وأَصْلُه الهَمْزُ فَسُهِّلَت ، وهُو جَائِزٌ كَثِيرٌ كَاسْتَأْسَدَ الرَّجُلُ ، واسْتَأْبَرَ النَّخْلُ ، واسْتَنْوَقَ الجَمَلُ أى صَارَ كَالنَّاقَةِ ، فَإِذَا اسْتُعْمِلَ اسْتَأْهَلَ بِمَعْنَى صَارَ أَهْلًا كَانَ جَائِزًا قِيَاسًا مَعَ أَنَّ السَّمَاعَ فِيهِ ثَابِتٌ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الثِّقَاتِ ، فَثَبَتَ أَنَّه مَسْمُوعٌ فَصِيح ، ومَقِيسٌ صحيحٌ ، فَلَا عِبْرَةَ بِإِنْكَارِه وتَكْثِيرِ السَّوادِ بِأَسْطَارِه »[٢] .

كما يستأنس بقول الشاعر [٣] :

هَبُونِىَ لَمْ أَسْتَأهِلِ العُرْفَ مِنْكُمُ أَمَا كُنْتُمُ أَهْلًا لِصِدْقِ المَوَاعِدِ

وما زالت الكلمة بمعناها فى لغة عامة الناس إلى يومنا هذا فيقولون : (فلان يِسْتَاهِل) بتخفيف الهمزة بإبدالها ألفا بمعنى يستحق أو يستوجب .

الرُّجْلَة :

استعمل الصولى (الرُّجْلَة) مصدرًا للرَّجُل مقابل الحَدَاثَةِ فى قوله : « ... وفَرَّقْنَا فِيهِ بَيْنَ الصِّغَرِ والكِبَرِ والحَدَاثَةِ ، والرُّجْلَةِ »[٤] .

واستعمال الرُّجْلَة كمصدر فى هذا المعنى نادر لا يكاد يعرف ، إذ المشهور استعماله للرَّاجِل الذى يقابل الرَّاكِب ، قال صاحب العين : « يقال: حَمَلك الله

(١) أساس البلاغة : (أهل)

(٢) شرح الشهاب الخفاجى على درة الغواص : ٢٣ ، ٢٤ ، كشف الطرة عن الغرة للآلوسى: ٦٦ ، ٦٧ ، وينظر : حواشى ابن برى وابن ظَفَر على درة الغواص : ٢٢ .

(٣) من الطويل فى بهجة المجالس : ٢/ ٤٩٩ .

(٤) النص المحقق : ٦٩ .

عن الرُّجْلَةِ ومن الرُّجْلَةِ . والرُّجْلَةُ هَاهُنَا فِعْل الرَّجُلِ الذي لا دابَّةَ له »[١] ، وقال الراجز [٢] :

لَمْ يَخْتَرِ البَيْتَ عَلَى التَّعَزُّبِ كَرَاهَةَ الرُّجْلَةِ بَعْدَ المَرْكَبِ

وقد حكى الجوهرى استعمال الرُّجْلة مصدرًا للرَّجُل والرَّاجِل كليهما ، فقال : « الرُّجْلَةُ بالضم: مصدر الرَّجُلِ. والرَّاجِلِ والأَرْجَلِ ، يقال رَجُلٌ بيّن الرُّجْلَة والرُّجُولَة والرُّجُولِيَّة ، ورَاجِلٌ جَيِّدُ الرُّجْلَة »[٣] .

وأنكر أبوسهل الهروى أن يكون المصدر فى قولهم : رَجُلٌ بَيِّن الرُّجُولة والرُّجْلَة والرُّجُولِيَّة ، بمعنى الرَّجُل الذى يقابل المرأة ، بل يرى أن المقصود منه « أَنَّه جَلْدٌ ظَاهِرٌ جَلَدُه ، صَحِيحٌ نَفَاذُه وفَضْلُه ، ولَيْسَ يُرَادُ بِه الرَّجُلُ الذِى هو ضِدُّ المرأَةِ »[٤] ، وقال نشوان أيضا : « الرُّجْلَةُ: الشِّدَّة ، يقال : رَجُلٌ بَيِّنُ الرُّجْلَة ، إذا كان شديداً جَلْداً »[٥] .

واستعمال الصولى للرُّجْلَة مصدرًا للرَّجُل فى مقابل الحداثة ، يحمل بلطف على معنى الجَلَدِ والشِّدَّة ، وقد ربط ابن الجبان بين استعمال الرُّجُولة والرُّجُولِيَّة فى معنى الشدة واستبانة ذلك فى وضوح الهيئة ، فقال : « الرُّجُولِيَّة والرُّجُولَة مَصْدَرُ الرَّجُل ، والمرادُ بهذِه المصادرِ وضوحُ الشَّكلِ فى الموصوفِ ... ، وإنَّمَا

(١) كتاب العين : (رجل) ٦/ ١٠٣ .

(٢) من الرجز فى المفضليات بشرح ابن الأنبارى : ٥٧٦ .

(٣) الصحاح : (رجل) ، وينظر : الفصوص : ٢/ ١٣٠ .

(٤) إسفار الفصيح : ١/ ٥١٥ .

(٥) شمس العلوم : ٤/ ٤١٧ .

يَظْهَرُ ذَلِك فى الرِّجَال بِالجَلَدِ والإِقْدَام »[١] .

ومن ثم يمكن حمل الرُّجْلَة على الرُّجُولَة والرُّجُولَيَّة وفق هذا التوجيه لأنه فى معناهما ، ويتميز ما بين الرُّجْلَة والحَدَاثة بالشَّكْلِ والهيْئَةِ وفقَ مَا يَظْهَر من صفات فى كليهما .

الصَّوْت :

قال الصولى : « ... رُبَّمَا عُدِلَ بِجَلِيلِ الأُمُورِ ، ومُهِمِّ الخُطُوبِ إِلَى كَلِمَةِ الفِتْيَانِ ؛ لاسْتِقْبَالِ أَيَّامِهِم وسُرْعَةِ حَرَكَتِهِم ؛ ولأَنَّهُم عَلَى ابْتِنَاءِ المجْدِ وبُعْدِ الصَّوْتِ أَحْرَصُ »[٢] .

فاستعمل الصَّوْتَ استعمال الصِّيت ، وقد ذهب كثير من اللغويين إلى التفريق بين الصيغتين ، قال ابن السكيت فى (باب فَعْل وفِعْل باختلاف معنى) : « الصَّوْتُ : صَوْتُ الإِنْسَانِ وغَيْرِه ، والصِّيتُ : الذِّكْرِ ، يُقَالُ : ذَهَبَ صِيتُه فِى النَّاسِ أى ذِكْرُه »[٣] ، وإلى مثل هذا الفرق ذهب ابن قتيبة [٤] .

غير أن من اللغويين من حكى استعمال الصَّوْتَ بمعنى الصِّيتِ ، وقَد أشار إلى قِلَّةِ استعماله فى هذا المعنى ، قال ابن جنى : « ... كَأَنَّهُم بَنَوْهُ على فِعْلٍ للفَرْقِ بينَ الصَّوْتِ المسْمُوعِ وبَينَ الذِّكْرِ المتَعَالِمِ المشْهُورِ ، عَلَى أَنَّهُم قَدْ قَالُوا أَيْضًا : قَدِ انْتَشَرَ صَوْتُه فى النَّاسِ ، يَعْنُونَ به الصِّيتَ الذِى هُو الذِّكْرُ ، والصِّيتُ في هَذَا المعْنَى أَعَمُّ وأَكْثَرُ اسْتِعْمَالًا مِنَ الصَّوتِ ، ولا يُسْتَعْمَل الصِّيتُ إلا فى

(١) شرح الفصيح لابن الجبان : ١٧٣ .

(٢) النص المحقق : ٧١ .

(٣) إصلاح المنطق : ٢٧ .

(٤) ينظر : أدب الكاتب : ٣١٢ .

الجَمِيلِ مِنَ الذِّكرِ دُونَ القَبِيح »[١] .

وقال الجوهرى مثل قوله ، وأفادت عبارته كذلك قلة استعمال الصوت بمعنى الصيت حيث قال : « ... ورُبَّمَا قَالُوا: انْتَشَرَ صَوْتُه فى النَّاسِ، بِمَعْنَى صِيْتِه »[٢] .

وحكى ابنُ سِيده أيضا عَنِ ابنِ جِنِّى : « الصَّوْتُ لُغَةٌ فى الصِّيتِ ، وهو الذِّكْرُ الحسَنُ خَاصَّة »[٣] .

وقد جاء هذا الاستعمالُ فى روايةِ أَبِى الفَرَجِ لِبَيْتِ الأَحْوَص [٤] :

---

(١) سر الصناعة : ١/ ١١ .

(٢) الصحاح : (صوت) .

(٣) المخصص : ١٢/ ١٩٣ .

(٤) من الكامل فى الأغانى : ١٧/ ٢٥٢ ، وقد غير د/ عادل سليمان جمال محقق شعر الأحوص : ١٤٠ ، فى رواية أبى الفرج على الرغم من اعتماده فى جمع شعر الأحوص عليها فى هذا الموضع تبعا للشيخ محمود شاكر ؛ لاستغلاق معنى البيت عليه ، فأحدث تغييرات فى جُلِّ مفردات البيت كى يصير للبيت معنى مفهوم لديه ، فأورده الشيخ شاكر على النحو التالى :

زَوْلٌ بَعِيـــد الصِّـــيت مُشْـــتَهر جِابـــتْ لَـــه جَيْـــبَ الـــدُّجَى عَمْـــر

وعلق على رواية أبى الفرج بقوله : « ولا معنى له ، واجتهدنا فلم نعثر عليه ، فتوهمنا صحته فيما أثبتنا . والزَّوْلُ : الغُلَام الخفيف الرُّوح الظَّرِيف ، وجيب الدُّجَى : فَوْبُه المظْلِم الأَسْوَد ، وجَابَتْ : شَقَّتْهُ بِنُورِهَا وحُسْنِها ، وعَمْرُ : عَمْرَة اسم امرأة ... » فضل العطاء على العسر : ٦١ تحـ : أ/ محمود محمد شاكر . وهو بفعله هذا شوه البيت تشويها أبعده عن مراد الشاعر بل لا مبالغة إذا قلنا أن أ/ محمود شاكر قد اصطنع بيتا جديدا وفق فهمه الخاص ، إذ الشاعر فى رواية أبى الفرج يفخر بنفسه ، فشبه نفسه بالرَّزْنِ ، وهى النقرة فى الجبل يكون فيها الماء ، فجمع لنفسه من الصفات باختياره لهذا اللفظ علو المكانة وفيض العطاء ، كما أن الصَّوْتَ بِمَعْنَى الصِّيْت ، وأما قول الشاعر: (جِيبَتْ لَهُ جَوْبَ الرَّحَى عَمْرُو) ، فهو استعمال فى غاية البلاغة والإيجاز ، وهو يشبه فى ذلك قول أبى بكر للأنصار فى سقيفة بنى ساعدة : « ... وإنما جِيْبَت العَرَبُ عَنَّا كما جِيْبَتِ الرَّحى عن قُطبها » غريب الحديث لابن الجوزي : ١/ ١٧٨ ، أى خُرِّقَتِ العربُ عَنَّا ، فَكُنَّا بمنزلة القُطْبِ من الرَّحَى ، وهذا يحاكيه ما فى البيت ، إذ المقصود بعمرو هو عمرو بن عوف بن مالك ، وهى القبيلة التى ينتسب إليها الشَّاعِر ، وهو يصور منزلته فى قبيلته بمنزلة القُطْب من الرَّحَى .

رَزْنٍ بَعِيـــد الصَّـــوْت مُشْـــتَهر جِيبَـتْ لَـهُ جَـوْب الرَّحَـى عَمْـرو

وبهذا يتضح أن استعمال الصولى للصَّوْتِ فى مَعْنَى الصِّيت وإنْ كَانَ قليلا ، فهو صحيح فى العربية جاءت به الرواية والشاهد ، ويلجأ إلى السياق فى تحديد المعنى المراد من الصَّوْت دون الاعتماد على الصيغة وحدها ، ومن ثم يمكن حمل نص ابن السكيت وابن قتيبة فى التفرقة بين الصَّوْت والصِّيت على الغالب دون أن يكون ذلك قاطعا فى التزام الفرق بينهما .

الاشتقاق : (اشتقاق الأفعال) :

صَبَحَ ، ظَهَرَ ، كَمَنَ :

روى الصولى « عَنْ عَامِر بنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ فِى عِشْرِينَ رَجُلًا عَلَى أَقْدَامِنَا ، فَكُنَّا نَكْمُنُ النَّهَارَ ونَظْهَرُ اللَّيْلَ حَتَّى صَبَحْنَا الموْضِعَ »[(١)] .

تناولت هذه الرواية ثلاثة أفعال مشتقة من أسماء الزمان والمكان وهى : (نَكْمُنُ ، ونَظْهَرُ ، صَبَحْنَا) .

أما (كَمَنَ ، وصَبَحَ) فمن الكُمُونِ ، والصَّبَاح ، وقد اشتهر مثل هذا الاشتقاق فى فصيح القول ، قال عَمْرُو بن مَعْدِى كَرِب[(٢)] :

فَنَادَانَـــا أَنَكْمُـــنُ أَمْ نُبَـــادِى فَلَـــمَّا مَـــسَّ حَالِبَـــهُ القَطِيـــعُ
أَرَنّ عَشِـــيَّةً فَاسْـــتَعْجَلَتْهُ قَـــوَائِمُ كُلُّهَـــا رَبِـــذٌ سَـــطُوعٌ

وحكى الأزهرى فى (صَبَحَ) : « يُقَالُ : صَبَحْتُ فُلانًا ، أَى أَتَيْتُه صَبَاحًا، وأَمَّا قَوْلُ بُجَيْرُ بنُ زُهَيْرٍ المُزَنِىُّ ، وكَانَ أَسْلَمَ[(٣)] :

---

(١) النص المحقق : ٧٧ .

(٢) من الوافر فى ديوانه : ١٤٣ ، الأصمعيات : ١٧٤ ، الاختيارين : ٣٦٧ .

(٣) من الوافر ، له فى المقتضب : ٢/ ١٨٢ ، المؤتلف والمختلف للآمدى : ٧٥ ، وينسب للعباس بن مرداس فى ديوانه : ١٧٨ .

صَـبَحْناهم بِـأَلْفٍ مِـن سُـلَيْمٍ وسَـبْعٍ مِـنْ بَنِـى عُـثْمَانَ وَافِ

فَمَعْنَاه أَتَيْنَاهُم صَبَاحًا بِأَلْفِ رَجُلٍ مِن سُلَيم »[١]، وقد فرق بعضهم فى الاستعمال بين صَبَّحَ وصَبَحَ ، قَالَ شَمِر :[٢] « قَالَ أبو عَدْنَان : الفَرْقُ بَيْنَ صَبَّحْنَا وصَبَحْنا أَنَّهُ يُقَالُ : صَبَّحْنَا بَلَدَ كَذَا وكَذَا، وصَبَّحْنَا فُلَانًا ، فَهَذِه مُشَدَّدَةٌ ، وصَبَحْنَا أَهْلَهَا خَيْرًا أو شَرًّا ، وَأَنْشَدَ[٣] :

صَـبَحْناهُمُ هِنْدِيَّـةً بأكُفِّنَـا مُـحَرَّبَةً تُـذْرِى سَـوَاعِدُهُم صُـعْدَا »

وما ذَكَرَهُ من الفرق بتعدى الفعل (صَبَّح) بتضعيف العين إلى مفعول واحد ، وتعدى الصيغة المجردة إلى مفعولين ، هو إلزام للعربى ما لم يَلْزَم فى كلامه ، ويَنْقُضُه قولُ بجير السابق ، وقولُ عَمْرو بن مَعْدِى كَرِب فى غَارَتِه على بنى زِيَادٍ بِفِتْيَةٍ مِنْ قَوْمِه[٤] :

صَـبَحْتُ بِهِـم بُيُـوتَ بَنَـى زِيـادٍ وَجُـرْدُ الخَيـلِ تَعْثُـرُ بِالرِّمَـاحِ

وهذا يدل على سلامة رواية الصولى ، وقد جاء فيها من قول سعد – رضى الله عنه – « ... حَتَّى صَبَحْنَا الموضِعَ » ، بتعدى الفعل إلى مفعول واحد .

وظاهر المعنى فى مقابلة الفعلين (نَكْمُن ونَظْهَر) أن يفسر الأول بالاستتار والآخر بالبدو والانكشاف ، ويجوز فى التأويل غير ذلك ، وهو أن يكون قوله « ... ونَظْهَرُ اللَّيلَ » نحو قولهم : « ظَهَر فُلَانٌ الجَبَل: إِذَا عَلَاه ، وظَهَرَ السَّطْحَ ظُهورًا :

(١) تهذيب اللغة : (صبح) ٤/ ٢٦٤ .

(٢) تهذيب اللغة : (صبح) ٤/ ٢٦٥ .

(٣) من الطويل دون نسبة ، ولم أقف عليه فى غير هذ الموضع .

(٤) من الوافر فى ديوانه : ٧٦ .

عَلَاه »[١]، ومن ثم يكون قول سعد – رضى الله عنه – جاريا فى الاستعمال عليه ، غير أنَّ العبارة فى هذه الرواية مبناها على المجاز فيكون قوله نَظْهَرُ الليل أى نَمْتَطِى اللَّيْلَ ، فاسْتَعَارَ الفِعْلَ وعَدَّاهُ إلى ظَرْفِه ، فجَعَلَهُ مَفْعُولًا له ، وهو على حد قولهم : فُلان يَدَّرِعُ اللَّيلَ ، أى يَلْبَسُ ظُلْمَتَهُ ، قال الزَّفَيَان السَّعْدِى [٢] :

أَعْيَسَ جَوّابَ الضُّحَى سَبَنْدَى يَدَّرِعُ اللَّيلَ إِذَا مَا اسْوَدَّا

ويكون اشتقاق الفعل حينئذ من الظَّهْر بمعنى الرِّكَابُ التى يُرْتَحَلُ عليها [٣]، كى يمكن تفسير الفعل فى هذا التركيب بالامتطاء ، أو يكون الفعل مشتقا من الظَّهْرِ بمعنى الطَّرِيق فِى البَرِّ ، ويُفَسَّرُ الفعل بالسَّيْرِ على الحقيقة فى قوله « ... ونَظْهَرُ اللَّيلَ » أى نسير فى الليل ، ويكون المجاز فى التركيب لا فى الفعل على حد قول الله تعالى : ﴿ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ (سبأ: ٣٣) ، وهذا المعنى الاشتقاقى تؤيده رواية الوَاقِدى بِلَفْظِ السَّيْرِ ، قال : « عَن عَامِر بنِ سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قال : خَرَجْتُ فِى عِشْرِينَ رَجُلًا عَلَى أَقْدَامِنَا ، ... فَكُنَّا نَكْمُنُ النَّهَارَ وَنَسِيرُ اللَّيْلَ ... »[٤]، كما أن قوله (عَلَى أَقْدَامِنَا) يدعم هذا المنحى فى الاشتقاق .

ولا شك فى أن ما يتضمنه نص الرواية من الاشتقاق والاستعمال يدل على عقلية الصولى اللغوية وحضورها فى اختيار مروياته .

---

(١) تهذيب اللغة : (ظهر) .

(٢) من الرجز له فى شرح ديوانه : ١٠٠ ، الصحاح : (سبد) .

(٣) ينظر : تهذيب اللغة : (ظهر) ٦/ ٢٤٤ ، الفرق بين الضاد والظاء لأبى عمرو الدانى : ٧١ ، المخصص : ٧/ ١٣٦ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير : ٤/ ٥٧٩ .

يَفْحَل :

روى الصولى عن أبى عمرو : « لم يُجِد أَحَدٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ فِى الشِّعْرِ ، ويَفْحَلْ فِى حَدَاثَةِ سِنِّه إِلَّا طَرَفَةَ ، فَإِنَّه قَالَ الشِّعْرَ حَدَثًا ، فَشَعَرَ وشُهِرَ فى سَنَوَاتٍ ... »[١] .

جاء الصولى فى هذه الرواية بالمضارع (يَفْحَل) وهو من الاشتقاقات القليلة التى يكاد يخلو المعجم منها، ودلالته فى هذا السياق على أحد وجهين ، إما أن يكون مشتقا من الفَحْل ، فيكون المعنى (صَارَ فَحْلًا فِى حَدَاثَتِه) والاشتقاق بهذا المعنى لم أعثر عليه فى المعجم وإنما وجدته فى نص لياقوت الحموى يقول فيه : « فَحِلٌ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ وكَسْرِ ثَانِيه ، لَعَلَّهُ مَنْقُولٌ عَنِ الفِعْلِ الماضِى مِنْ فَحَلَ يَفْحَل إذَا صَارَ فَحْلًا ، وهُوَ اسْمُ مَوْضِع ... »[٢] ، أو يكون بمعنى عظم أمره فى حداثته فيكون اشتقاقه من فُحَّال النَّخْل وشاهده ما أنشده أبو حنيفة [٣] :

وَجَارَةٍ لِى لَا يُخَافُ دَاؤُهَا عَظِيمَةٍ جُمّتُهَا فَنْوَاؤُهَا

يَفْحَل قَبْلَ بُسْرِهَا سَدَاؤُهَا

والمشهور فى هذا المعنى « اسْتَفْحَل الأمر : عَظُمَ واشْتَدَّ »[٤] .

فاشتقاق الماضى والمضارع من كلا المعنيين قليل لا يكاد يعرف ، مما يدل على إلمام الصولى بنوادر اللغة ، وقصده من ذلك استظهار ما نَدَّ عن غيره

(١) النص المحقق : ١١٠ .

(٢) معجم البلدان : ٤/ ٢٣٦ .

(٣) من الرجز فى التنبيهات لعلى بن حمزة البصرى : ٣٣٨ .

(٤) العين : (فحل) ٣/ ٢٣٥ ، وينظر : المجرد لكراع : ١٢٧ ، جمهرة اللغة : ١/ ٥٥٤ ، ديوان الأدب : ٢/ ٤٣٤ ، الصحاح : (فحل) .

تحصيله، وتمكنه وإبراز سعة محصوله .

تعليل الأسماء :

البَحْر ، الرِّدْفُ:

قال الصولى : « ... ومِنْهُم أَبو مُحَمَّدٍ الفَضْلُ بنُ العَبَّاسِ > ... وكَانَ يُسَمَّى الرِّدْفَ ؛ لأنَّ النَّبِىَّ ﷺ أَرْدَفَهُ لما دَفَعَ مِنْ مُزْدَلِفَة إِلَى مِنَى »(١) .

وقال أيضا : « وعَنْ مُجَاهِد قَالَ : كَانَ عَبْدُ الله بنُ عَبَّاسٍ يُسَمَّى البَحْرَ لِكَثْرَةِ عِلْمِه ... »(٢) .

أبان الصولى فى النصين عن مدى ارتباط الاسم بمسماه مما اصطلح عليه لدى اللغويين بتعليل الأسماء ، فى إشارة واضحة إلى أن وضع الاسم للمسمى جار فى اللغة على وجه الحكمة ، وقد اختلف ملحظ العلة فى النص الأول عنه فى الثانى ، إذ كان التعليل فى تسمية الفضل بن العباس بالرِّدْف نابع من مزاولة الفعل ؛ لأن رسول الله أَرْدَفَهُ خَلْفَهُ فى أَعْظَمِ شَعِيرَةٍ ، كما كان للمجاز دوره فى فى إطلاق البحر على عبد الله بجامع العظم والكثرة فى المشبه والمشبه به ، ومن ثم أجرى الاسم على مسماه على جهة التشبيه.

وقد ذكر عضد الدين الإيجى جملة الملاحظات التى يتم بها إطلاق الاسم على مسماه ، فقال : « اعْلَمْ أنَّ الاسْمَ الذِى يُطْلَقُ عَلَى الشَّىءِ إِمَّا أَنْ يُؤْخَذَ مِنَ الذَّاتِ بَأَنْ يَكُونَ المسَمَّى بِهِ ذَاتَ الشَّىءِ من حَيْثُ هُو أو مِنْ جُزْئِهَا أو مِن

(١) النص المحقق : ٨٦ .

(٢) النص المحقق : ٨٧ .

وَصْفِهَا الخَارِجِى أو مِنَ الفِعْلِ الصَّادِرِ عَنْهُ »[١] .

وقد أتى الصولى فى نصيه بالصورة الأولى وهى إطلاق الذات (البحر) على المسمى (عبد الله) ، والصورة الثانية وهى مأخذ الاسم من الفعل الصادر عن المسمى .

عطف المترادفين لاختلاف اللفظين :

أَطْرَقَ ، وأَبْلَسَ :

رَوى الصُّولى عن ابنِ المدِينِىِّ حوار يحيى بنِ أَكْثَم – وكَانَ غُلَامًا – مع سُفْيَانَ بن عُيَيْنَةَ حين أبدى ضَجَرَه من جُلَسَائِه ، وفيه [٢]« ... وَالله لَشَقَاءُ مَنْ جَالَسَ أَصْحَابَ رَسُولِ الله – ﷺ ، ورَضِى عَنْهُم – بِكَ ، أَشَدُّ مِن شَقَائِكَ بِنَا ، فَأَطْرَقَ وأَبْلَسَ ، وتَمَثَّلَ شِعْرَ أَبِى نُوَاسٍ [٣] :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِلرَامِ وَامْضِ عَنهُ بِسَلَامِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ »

اشتمل نص رواية الصولى هنا على الفِعْلَيْنِ أَطْرَقَ وأَبْلَسَ بعطف أحدهما على الآخر ، فى حين جاءت روايته فى غير هذا الكتاب وكذلك رواية غيره عن ابن المدينى بالفعل (أَطْرَقَ) وحده من دون عطف (أَبْلَسَ) عليه [٤] ، كما جاءت الرواية عن غيره أيضا بالفعل (أَبْلَسَ) وَحْدَه دون مصاحبة الفعل

(١) المواقف للإيجى : ٣/ ٣٠٤ ، وينظر : تعليل الأسماء د/ محمد حسن جبل : ٢٢ .

(٢) النص المحقق : ٨١ .

(٣) من مجزوء الرمل لأبى نواس فى ديوانه : ٢/ ١٤٦ .

(٤) ينظر : تاريخ دمشق : ٦٤/ ٦٧ ، وفيات الأعيان : ٢/ ٣٩٢ ، تهذيب الكمال : ٣١/ ٢١٨ ، المقصد الأرشد : ٣/ ٩٠ .

(أَطْرَقَ) [١] .

ومن ثَـمَّ فسوق الفعلين معا يثير قضية لغوية تستنطقها الرواية هنا ، وتستوضحها رواية بعض اللغويين للفعلين بمعنى واحد ، كقول أبى مسحل : « يُقَالُ : أَرَمَّ الرَّجُلُ ، وَأَبْلَسَ، وَأَطْرَقَ ، ... وسَكَتَ ، وأَسْكَتَ ، واخْرَمَّسَ ، بِمَعْنًى وَاحِدٍ »[٢] .

وإذا اعتبرنا الفعلين من قبيل المترادفين ، فيلزم طرح سؤال هنا ، هل يجوز عطف المترادفين أحدهما على الآخر ؟

يذهب بعض اللغويين إلى جواز ذلك ، وقد أشار إليه السكرى بقوله : « إِذَا اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ حَسُنَ ، وإِنْ كَانَ المعْنَى وَاحِدًا، ومِثْلُه قَوْلُ عَبِيدٍ [٣] :

أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْ (م) تَ سَرَاتَنَا كَذِباً وَمَيْنَا »[٤]

وقال النَّحاس فى شرحه لبيت عنترة [٥] :

حُيِّيتَ مِن طَلَلٍ تَقَادَمَ عَهْدُهُ أَقْوَى وَأَقفَرَ بَعدَ أُمِّ الهَيثَمِ

قال : « قوله : (أَقْفَرَ) ، قيل: مَعْنَاهُ كَمَعْنَى أَقْوَى إِلَّا أَنَّ العَرَبَ تُكَرِّرُ إِذَا اخْتَلَفَ اللَّفْظَانِ ، وَإِنْ كَانَ المعْنَى وَاحِدًا ، هَذَا قَوْلُ أَكْثَرِ أَهْلِ اللُّغَةِ ... »[٦] .

---

(١) كنز الكتاب ومنتخب الآداب : ١/ ١٠٨ .

(٢) النوادر لأبى مسحل : ١/ ١٧٢ .

(٣) من مجزوء الكامل فى ديوانه : ١١٧ .

(٤) شرح أشعار الهذليين : ١/ ٤٥ .

(٥) من الكامل فى ديوانه : ١٨٥.

(٦) شرح القصائد التسع للنحاس : ٢/ ٤٦٠ ، ٤٦١ ، وينظر : العين : (نوع) ٢/ ٢٥٧ ، المنتخب لكراع (باب إعادة المعنى إذا اختلف اللفظان) : ٢/ ٦٢٢ ، شرح أدب الكاتب للجواليقى : ١١٥ .

وقال ابن برى أيضا : « وهَذَا جَائِزٌ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ لاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ عَلَى جِهَةِ التَّأْكِيدِ ، وَذَلِكَ كَقَوْلِ الشَّاعِرِ [١] :

وأَلْفَى قوْلَهَا كَذِباً ومَيْنَا

والمَيْنُ هُوَ الكَذِبُ ، وكَذَلِكَ قَوْلُ الآخَر [٢] :

وهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْىُ والبُعْدُ

وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴾ (طه: ١٠٧) ، قِيلَ: هُمَا بِمَعْنَى وَاحِدٍ ، وكذلك : ﴿ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ ﴾ (يوسف: ٨٦) ، البَثُّ وَالحُزْنُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ ... وهذا النحو كثير جدًا »[٣] .

وأما الفريق الآخر فقد استظهر فروقا لطيفة بين اللفظين فى مثل هذه الأمثلة ، وقد أشار ابن فارس إلى مذهبهم بتمثيله بالفعلين (قعد ، وجلس) ، « قالوا : ففى (قَعَدَ) مَعَنًى لَيْسَ فِى (جَلَسَ) ، وَكَذَلِكَ القَوْلُ فِيما سِوَاهُ ، وبِهَذَا نَقُولُ ، وهُو مَذْهَبُ شَيْخِنَا أَبِى العَبَّاس أحمد بن يحيى ثعلب ... ونَحْنُ نَقُولُ : إِنَّ فِى (قَعَدَ) مَعْنَى لَيْسَ فِى جَلَس ، أَلَا تَرَى أَنَّا نَقُولُ (قام ثُمَّ قعد) ... ثُمَّ نقول : (كَانَ مُضْطَجِعًا فَجَلَسَ) ، فَيكونُ القُعُودُ عَنْ قِيَامٍ ، والجُلوس عَنْ حَالَةٍ هى دونَ الجُلُوسِ ؛ لأنَّ الجَلْسَ: المُرْتَفِع ، فالجُلُوسُ ارْتِفَاعٌ عَمَّا هُو دُونَهُ ، وَعَلَى هَذَا يجرى البابُ كلُّه »[٤] .

(١) عجز بيت من الوافر لعدي بن زيد فى ديوانه: ١٨٣.

(٢) عجز بيت من الطويل للحطيئة فى ديوانه: ٦٤.

(٣) الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب فى كلامهما على المقامات : ١٥٩ .

(٤) الصاحبى : ١١٥ ، ١١٦ .

وَيَتَأَكَّدُ هَذَا المَذْهَبُ فى قول العسكرى : « وقَدْ يُعْطَفُ الشَّىءُ عَلَى الشَّىءِ ، وإِنْ كَانَا يَرْجِعَانِ إِلَى شَىءٍ وَاحِدٍ ، إِذَا كَانَ فِى أَحَدِهِمَا خِلَافٌ للآخَرِ ، فَأَمَّا إِذَا أُرِيدَ بِالثَّانِى مَا أُرِيدَ بِالأَوَّلِ ، فَعَطْفُ أَحَدِهِمَا عَلَى الآخَرِ خَطَأ ، لَا تَقُولُ : جَاءَنِى زَيْدٌ وأَبُو عَبْدِ الله إِذَا كَانَ زَيْدٌ هُو أَبَا عَبْدِ الله ، ولَكِن مِثْلُ قَوْلِه [١] :

أَمَرتُكَ الخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرتَ بِهِ فَقَد تَرَكْتُكَ ذَا مَالٍ وَذَا نَشَبِ

لأَنَّ المالَ إِذَا لَمْ يُقَيَّد فَإِنَّمَا يَعْنِى بِهِ الماشِيَةَ أَوْ الصَّامِت ، والنَّشَبُ : مَا نَشَبَ مِنَ العَقَارَات ، وكَذَلِكَ قَوْلُ الحُطَيْئَة :

وهِنْدٌ أَتَى مِنْ دُونِهَا النَّأْىُ والبُعْدُ

فالنَّأْىُ يَكُونُ لما ذَهَبَ عَنْكَ إِلَى حَيْثُ بَلَغَ ، وأَدْنَى ذَلِكَ يُقَالُ لَه نَاءٍ ، والبُعْدُ تَحْقِيقُ الخُرُوجِ والذِّهَابِ إِلَى الموضِع السَّحِيق ... »[٢] .

وهذا المذهب أحرى بالقبول ، وأوفق للحكمة فى تمييز لطائف المعانى من بين الألفاظ المتقاربة الدلالة ، ويتأدى عليه التمييز بين أَطْرَقَ وأَبْلَسَ ، « يُقَالُ : أَطْرَقَ الرَّجُل : إِذَا سَكَتَ عَنْ فَزَعٍ أو غَمٍّ »[٣] ، « وأَطْرَقَ الرَّجُلُ يُطْرِقُ إِطْرَاقًا ، إِذَا أَسْجَدَ بِبَصَرِه إِلَى الأَرْض »[٤] ، أما معنى (أَبْلَسَ) فقد قال الفراء : « قيل للذِى يَسْكُتُ عِنْد انْقِطَاعِ حُجَّتِه ولَا يَكُونُ عِنْدَه جَوابٌ : قَدْ أَبْلَسَ »[٥] .

(١) من البسيط ، نسب إلى العباس بن مرداس فى ديوانه : ٤٦ ، ونسب أيضا إلى عمر بن معدى كرب فى ديوانه : ٦٣ .

(٢) الوجوه والنظائر للعسكرى : ٣٥١ .

(٣) المجرد فى غريب كلام العرب : ١٥٥ .

(٤) جمهرة اللغة : ٢/ ٧٥٦ .

(٥) معانى القرآن للفراء : ١/ ٣٣٥ .

ففى رواية الصولى يدل الفعل (أَطْرَقَ) على صورة ابن عيينة حين أَسْجَدَ بِبَصَرِهِ إِلى الأَرْضِ سَاكِتًا ، ويدل (أَبْلَسَ) عَلَى انْقِطَاعِ حُجَّتِه فَلَم يَسْتَطِع أنْ يَرُدَّ على الغلام ، وسياق الأبيات التى تمثل بها يدعم ذلك ويقويه .

ربما كان الصولى باختياره للرواية يريد أن يثير هذه القضية فى ذهن القارئ سواء كان ممن أجاز ترادف اللفظين على جهة التأكيد أو كان ممن تلمس الفرق الدقيق بين اللفظين .

دور السياق فى توجيه المعنى :

العَيْن ، الأَمَدُ:

روى الصولى : « عَنْ يُونُس بنِ عُبَيْد عَنِ الحَسَنِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الحَجَّاجِ لِبَيْعَةِ الوَلِيدِ ، فَقَالَ : مَا أَمَدُكَ ؟ فَقُلْتُ : سَنَتَانِ بَقِيَتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَر ، فَقَال : والله لَعَيْنُكَ أَبْعَدُ مِنْ أَمَدِكَ »[(١)] .

اشتملت الرواية على لفظين كان للسياق دوره فى توجيه معناهما ، الأول (العَيْنُ) ، وقد اشتهر التمثيل بهذا اللفظ للدلالة على استعمال اللفظ الواحد فى معان مختلفة ، وقد أحصى له أبو العميثل ثلاثة عشر وجهًا من المعنى [(٢)] ، وذكره المبرد ضمن ما اتفق لفظه وختلف معناه فى كتاب الله ، فقال : « ... ومن ذلك (عَيْنٌ) : للتى يُبْصَرُ بِهَا ، وتقولُ : هَذَا عَيْنُ الشَّىءِ أى حَقِيقَتُه ، والعَينُ : المالُ الحَاضِر ، والعينُ : عَيْنُ الميزَانِ ، والعين : سَحَابَةٌ تَأْتِى من قِبَلِ القِبْلَة ، وعَيْنُ

(١) النص المحقق : ٩٢ .

(٢) ينظر : المأثور فى اللغة : ٦٣ .

الماءِ »[١] .

وتنصرف دلالة الكلمة فى الرواية إلى شخص الحسن البصرى وحقيقته ، والمعنى : أنت أكبر من سنك ، وقد ورد هذا المعنى ضمن المعانى التى أوردها أبو العميثل ، قال : « العَيْنُ : عَيْنُ الدَّابَّةِ أو الرَّجُلِ ، وهُو الرَّجُلُ نَفْسُه أو الدَّابّةُ أو المتَاعُ نَفْسُه ... »[٢] ، وقال ابن الأنبارى أيضا : « ... العَينُ : نَفْسُ الشَّىءِ ، من قولهم لا آخُذُ إِلَّا دِرْهَمِى بِعَيْنِه أى لَا أَقْبَلُ مِنْهُ بَدَلًا ، وهُو قَوْلُ العَرَبِ : لا تَتْبَعْ أَثَرًا بَعْدَ عَيْن »[٣] .

ومن ذلك قول أبى ذؤيب [٤] :

وَلَو أَنَّنِى استَودَعتُهُ الشَمسَ لَارتَقَتْ إِلَيهِ المَنَايَا عَينُهَا وَرَسُولُها

ولا شك أن كثيرا من المعانى التى تستعمل فيها كلمة العين يمكن أن ترد إلى صورة من صور المجاز ، ومن ثم يمكن خروج تلك الصور عن الحد الذى ارتضاه الأصوليون فى تعريف المشترك اللفظى « بِأَنَّهُ اللَّفْظُ الوَاحِدُ الدَّالُّ عَلَى مَعْنَيَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ فَأَكْثَر دَلَالةً عَلَى السَّوَاءِ عِنْدَ أَهْلِ تِلْكَ اللُّغَةِ »[٥] .

واللفظ الثانى فى هذه المروية (الأَمَدُ) وهو من الألفاظ المشكلة الدلالة ، وقد فسره صاحب العين بقوله : « الأَمَدُ : مُنْتَهَى كلِّ شيءٍ وآخرُه »[٦] .

---

(١) ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن المجيد للمبرد : ٤٨ .

(٢) المأثور فى اللغة : ٦٣ .

(٣) المذكر والمؤنث لابن الأنبارى : ١/ ٢٢٦ .

(٤) من الطويل له فى شرح أشعار الهذليين : ١/ ١٧٤ .

(٥) المزهر فى علوم اللغة وأنواعها : ١/ ٣٦٩ .

(٦) العين : (أمد) ٨/ ٨٩ .

وكان المفترض وفق هذا المعنى أن يكون رد الحسن على سؤال الحجاج : ما أمدك ؟ أن يوقفه على منتهى سنه فى حينه لا أن يشير إلى بداية مولده وإن فهم ذلك بالحساب إلا إذا أراد من ذلك بعدا بلاغيا بذكر عمر بن الخطاب ليفارق بذكره له فى مجلس الحجاج بين العدل والتعسف من طرف خفى .

وربما يكون تأويلُ الأَمَدِ بالغاية والمنتهى مبنيًّا على ورود الكلمة فى سياقات تحتمل هذا التوجيه ، قال الثعلبى : « الأَمَدُ : الأَجَلُ والغَايَةُ التى يُنْتَهَى إِلَيْهَا، قَالَ اللهُ تَعَالى : ﴿أَمَدًا﴾ (الجن: ٢٥) ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ﴾ (الحديد: ١٦) »[١] ، لكن ربما لا يتناسب مثل هذا التأويل مع قول خُنَافِر بنِ التَّوْأَمِ الحِمْيَرِىّ يوصى صديقه : « عِهْ تَغْنَم ، لِكُلِّ مُدَّةٍ نِهَايَة ، وكُلُّ ذِى أَمَدٍ إِلَى غَايَة ... »[٢] ، فالأَوْلَى فى التأويل أن يكونَ معنى الأَمَدِ هنَا البداية ، وهو أشبه بكلام الحسن ، قال شَمِر : « للإِنْسَانِ أَمَدَانِ ، أَحَدُهُمَا : ابْتِدَاءُ خَلْقِهِ الذِى يَظْهَرُ عِنْدَ مَوْلِده وإِيَّاه عَنَى الحجاج حين سأَلَ الحَسَنَ ، فَقَالَ لَهُ: مَا أَمَدُكَ ؟ فقالَ : سَنَتَانِ مِنْ خِلَافَةِ عُمَر، أَرَادَ أَنَّه وُلِدَ لسَنَتَيْنِ بَقِيَتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ ، والأَمَدُ الثَّانِى : الموتُ »[٣] .

ولعل المعنى الأصيل لمادة (أمد) يدل على حَدِّ الشىء سواء من بدايته أو منتهاه أو بكليهما ، فيقصد به البداية كما مر فى قولِ خنافر وقول الحسن ، وقد

(١) الكشف والبيان فى تفسير القرآن : ٣/ ٥٠ ، وينظر : شمس العلوم : ١/ ٣١٩ .

(٢) أمالى القالى : ١/ ١٣٤ .

(٣) تهذيب اللغة : (أمد) ١٤/ ٢٢٢ .

يقصد به نهاية الدهر فى قال الأعشى طلحة بن معروف يرثى أَخَوَيْهِ [١] :

هُمَا أَخَوَايَ فَرَّقَ الدَّهْرُ بَيْنَنَا إِلَى الأَمَدِ الأَقْصَى وَمَنْ يَأْمَنُ الدَّهْرَا

وقد ينصرف إلى الحد المكانى كقول الكميت [٢] :

يَرْمِى بِعَيْنَيْهِ عَدْوَةَ الأَمَدِ الـ (م) أَبْعَدِ هَلْ فِى مَطَافِةٍ رَيْبُ

« قال : عَدْوَةُ الأَمَدِ : مَدُّ بَصَرِهِ ، يَنْظُرُ هَلْ يَرَى رِيبَةً تَرِيبُه »[٣] .

وبعد فاستعمال مثل هذه الألفاظ المشكلة الدلالة التى تتطلب قدرا من الإلمام بأسرارها يشير من طرف إلى قوة من أوردها ، ووقع اختياره لها يوحى باستعراض قوة ساعده فيها وتمكنه من أداته التعبيرية .

*****

نسبة الكتاب إلى مؤلفه وتحرير عنوانه

لم يكن من السهل نسبة هذا الكتاب إلى مؤلفه أبى بكر الصولى ، إذ لم يرد فى صدر هذا الكتاب نسبته إليه ، فضلا عن الخلط بين نقول نقلت من هذا الكتاب ، ونقول أُخَر نقلت عن كتاب يشبهه فى العنوان وهو (مناقب الشبان وتقديمهم على ذوى الأسنان لابن عساكر) .

فقد نقل السيوطى فى أربعة مواضع نقولا نسبها إلى كتاب مناقب الشبان :

١ – « قال ابن عساكر: مات رؤبة سنة خمس وأربعين ومائة. ورأيت في (كتاب مناقب الشبان وتقديمهم على ذوي الأسنان) : تقول العرب أرجز الناس

(١) من الطويل فى المؤتلف والمختلف فى أسماء الشعراء : ١٧ .

(٢) من المنسرح فى ديوانه : ٩٥ .

(٣) تهذيب اللغة : (أمد) ٣/ ١١٦ .

بنو عجل، ثم بنو تميم، يريدون الأغلب العجلي، ثم العجاج، ثم بنو عجل، ثم بنو تميم، يريدون أبا النجم العجلي، ثم رؤبة ... »[١] .

٢- « ورأيت في (مناقب الشبان) قال : روى الأصمعي أن النابغة كان تضرب له قبّة بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء فتعرض أشعارها عليه، فأتاه الأعشى فأنشده، ثم أتاه حسان ... »[٢] .

٣- « ... قال صاحب كتاب مناقب الشبان: نظيره قول جرير أيضا [٣] :

مَا زِلْتَ تَحْسَبُ كُلَّ شَيءٍ بَعْدَهُم خَيْلًا تَكُرُّ عَلَيْهِمُ وَرِجَالَا

ويروى أنَّ الأخطل لما سمع هذا البيت قال: قد استعان عليه بالقرآن، يعني قوله تعالى: ﴿ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ﴾(المنافقون: ٤) ، قال صاحب مناقب الشبان : والمعنَى فى الآية بِأَجَلِّ لَفْظٍ وأَحْسَنِ اخْتِصَارٍ »[٤].

٤- « وروى صاحب كتاب (مناقب الشبّان وتقديمهم على ذوي الأسنان) من طريق محمد بن سلام، عن أبي يحيى الضبي ، قال: كان رؤبة يرعى إبل أبيه حتى بلغ وهو لا يقرض الشعر، فتزوّج أبوه امرأة يقال لها عقرب، فعادت رؤبة، وكانت تقسم إبله على أولادها الصغار، فقال رؤبة: ما هم بأحق مني

(١) شرح شواهد المغنى : ١/ ٥٥ .

(٢) شرح شواهد المغنى : ١/ ٢٥٥ .

(٣) من الكامل فى ديوانه بشرح ابن حبيب : ١/ ٥٣ ، ورواية البيت فى شرح شواهد المغنى بها تصحيف فضلا عن انكسار وزن البيت فى شطره الأول ، وهى فيه :

مَا زِلْتَ تَحْسَبُهُم كُلَّ شَيءٍ بَعْضُهُم خَيْلًا تَكُرُّ عَلَيْهِمُ ورِجَالَا

(٤) شرح شواهد المغنى : ٢/ ٦٦٢ ، ٦٦٣.

لها ، إنى لأقاتل عنها السنين ، وأنتجع بها الغيث . فقالت عقرب للعجّاج : أسمعُ هذا وأنت حيٌّ ! فكيف بنا بعدك؟ ، فَخَرَجَ فَزَبَرَهُ وصَاحَ بِه وقَالَ له اتْبَع إِبِلَك ... »[١] .

ولا وجود لهذه المواضع فى متن كتاب الصولى الذى بين أيدينا ، وقد نقل البغداديُّ الموضعَ الأخير فى خزانة الأدب [٢] ، وعقب عليه المحقق الأستاذ عبد السلام هارون – رحمه الله – : « لم يرد فى غير هذا الموضع من الخزانة ، وذكره السيوطى مرة أخرى فى شرح شواهد المغنى ، ولم يذكر مؤلفه كذلك ، وقال : " وهو كتاب ذكر مؤلفه فى خطبته أنه ألفه للخليفة جعفر المقتدر ؛ لأنه تولى الخلافة وسنه ثلاث عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر سنا منه "، وقد ولى المقتدر سنة ٢٩٥ هـ ، وخلع سنة ٢٩٦ هـ ثم عاد إلى الخلافة وظل بها إلى أن خلع ثانية سنة ٣١٧ هـ ، فالكتاب قديم كما رأيت ، مجهول مؤلفه »[٣] .

والحق أن الأستاذ عبد السلام هارون – رحمه الله – لم يميز بين كتاب (مناقب الشبان وتقديمهم على ذوى الأسنان) لابن عساكر ، وكتاب فضل الشبان على كثير ممن تقدم من ذوى الأسنان) للصولى ، إذ إن النقل الذى نقله عن السيوطى ، وهو قوله : « وهو كتاب ذكر مؤلفه فى خطبته أنه ألفه للخليفة جعفر المقتدر ؛ لأنه تولى الخلافة وسنه ثلاث عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر سنا منه » ، لم يكن يعنى السيوطى به الحديث عن كتاب مناقب الشبان كما

(١) شرح شواهد المغنى : ٢/ ٩٥٨ .

(٢) ينظر : خزانة الأدب : ٢/ ٤٦ ، وكذا نقله فى شرح أبيات مغنى اللبيب : ٨/ ٦٢ .

(٣) خزانة الأدب : ٢/ ٤٦ ، هامش (١) .

ذكر الأستاذ عبد السلام هارون - رحمه الله - ، فالسيوطى كان دقيقا فى ذكر الكتاب الذى نقل عنه ، فقال فى هذا الموضع ، وكان يتكلم عن طرفة بن العبد ، « قُتل وهو ابن عشرين سنة، ولذلك قيل له ابن عشرين. ورأيت له ترجمة في كتاب (فضل الشبان وتقديمهم على ذوي الأسنان) وهو كتاب ذكر مؤلفه في خطبته أنه ألفه للخليفة جعفر المقتدر، لأنه تولى الخلافة وسنه ثلاث عشرة سنة ، ولم يل الخلافة قبله أصغر سنا منه »[١] .

ففى هذا الموضع ذكر السيوطى عنوان الكتاب (فضل الشبان) ، ولم يقل (مناقب الشبان) ؛ لتفرقته بين الكتابين اللذين نقل عنهما ، ويؤكد ذلك أن ترجمة طرفة التى أشار إليها السيوطى هى فى متن الكتاب الذى بين أيدينا[٢] .

ومن ثم تتضح التفرقة بين الكتابين ، فمناقب الشبان لابن عساكر وهو كتاب كبير يقع فى خمسة عشر جزءًا ، ذكر ذلك من ترجم له[٣] ، أما (فضل الشبان) فهو الكتاب الذى سأعرض دليل نسبته إلى أبى بكر الصولى .

وأول الأدلة التى يثبت بها نسبة الكتاب إلى الصولى نقلُ ابن بسام الشنترينى (ت ٥٤٢ هـ) عن كتاب الشبان للصولى فى كتابه « الذخيرة »، قال :[٤]« ... وأَنْشَدَ الصُّولِيُّ فى كِتَابِه « فى الشُّبَّان » لبعضِ قريشٍ يومَ فَتْحِ مَكَّةَ[٥] :

(١) شرح شواهد المغنى : ٢/ ٨٠٥ .

(٢) النص المحقق : ١٠٨ ، وما بعدها .

(٣) ينظر : معجم الأدباء : ٤/ ١٦٩٩ ، الوافى بالوفيات : ٢٠/ ٢١٨ ، سير أعلام النبلاء : ٢٠/ ٥٥٩ .

(٤) الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة (القسم الثالث) : ١/ ٣٨٦ .

(٥) من الخفيف ، لضرار بن الخطاب الفهرى ، ينظر : النص المحقق : ٨٠ .

خَزْرَجِيٌّ لَوْ يَسْتَطِيعُ مِنَ الغَيْـ (م) ـظِ رَمَانَا بِالنَّسْرِ والعَوَّاءِ »

والبيت ضمن تسعة أبيات لضرار بن الخطاب الفهرى ، أنشدها الصولى فى متن كتابنا [١] .

كما تعد القصيدة التى نظمها الصولى للمقتدر بالله ووزيره أبى الحسن بن الفرات فى صدر هذا الكتاب دليلا دامغا على نسبة الكتاب إلى أبى بكر الصولى ، إذ يقول فى مطلعها :

لِيَهْنِكَ يَا خَيْرَ مُسْتَوْزَرٍ خِلاَفَةُ خَيْرِ الوَرَى جَعْفَرِ

وعدد أبياتها اثنا عشر بيتا ، وقد جاءت هذه القصيدة منسوبة إليه فى نقل أبى إسحاق البُونسى لها ، وعدد أبياتها لديه أربعة عشر بيتا ، بزيادة بيتين على ما أُثْبِتَ منها فى متن مخطوطة الكتاب ، قال أبو إسحاق : « وفى حفظى أبيات لأبى بكر الصولى من النظم المستحسن، والكلام العذب الحسن، وهي فى معنى التهنئة بالوزارة ؛ غريبة المنحى والمنزع ، ويحسن إثباتها في هذا الموضع :

لِيَهْنِكَ يَا خَيْرَ مُسْتَوْزَرٍ خِلاَفَةُ خَيْرِ الوَرَى جَعْفَرِ
إِمَامِ هُدًى عَمَّنَا جُودُهُ فَأَصْبَحَ كَالعَارِضِ المْطِرِ
أَتَمَّ مِنَ الشَّمْسِ فى حُسْنِهَا وأَزْهَرَ مِنْ بَدْرِهَا الأَزْهَرِ
وَلِيتَ أُمُورًا فَأَوْرَدْتَهَا مَوَارِدَ مَحْمُودَةَ المْصْدَرِ
وحُطْتَ الإِمَامَ وأَمْوَالَهُ عَلَى رَغْمِ بَاغٍ وَمُسْتَكْبِرِ
وَقَدْ أَقْبَلَتْ نَحْوَنَا فِتْنَةٌ تَرُوعُ بِجَانِبِهَا الأَوْعَرِ

(١) ينظر : النص المحقق : ٨٠ .

فَـــأَشْرَقَ رَأْيُـــكَ فِى لَيْلِهَـــا وَأَوْضَـــحَ للسَّـــامِعِ المْبْصِرِ

وأَصْـلَحْتَ بِالعَـدْلِ مِـنْ جَوْرِهَـا وَأَسْرَعْـــتَ بِـــالعُرفِ فى المنْكَـــرِ

وكَانَـــتْ سُـــعُودُكَ فِى نَحْسِـــها أَتَـــمَّ سُـــعُودٍ مِـــنَ المشْـــتَرِى

بحـــزمٍ يُجَـــلِّي الـــدَّجَى والعَمَـــى وَرَأْيٍ يُقِـــيمُ صَـــغَا الأَصْـــعَرِ

وقَوَّمْـــتَ فِى سَـــاعَةٍ دَوْلَـــةً تَمِيـــلُ بِغَـــيْرِكَ فِى أَشْـــهُرِ

وَدِدْتَ إِلَيْهَـــا عَـــلَى رَغْمِهِـــمْ شَـــوَارِدَ مِـــنْ مَعْشَرٍ نُـــبَّرِ

فَأَلْسِـــنَةُ النَّـــاسِ مَجْمُوعَـــةٌ فَمِـــنْ بَـــيْنِ دَاعٍ ومُسْتَبْشِرِ

بَقِيْـــتَ ولَا زِلْـــتَ فى نِعْمَـــةٍ تَـــدُومُ وتَبْقَـــى عَـــلَى الأَعْصُرِ

قوله: (خِلافَةُ خير الورى جعفر) هو جعفر بن المعتضد بالله أحمد بن طلحة ابن المؤمن بن جعفر المتوكل. بويع له بالخلافة لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى القعدة سنة خمس وتسعين ومائتين، وسنه يومئذ ثلاث عشرة سنة. ودامت خلافته خمسا وعشرين سنة إلا ستة عشر يومًا ، استوزر في مدة خلافته اثنى عشر وزيراً، وكانت في أيامه أمور وعجائب لم تكن قبل مدته. وله أَلَّفَ أبو بكر محمد بن يحيى الصولي قائل هذه القصيدة كتابَ (الشُّبَّان) ... »[1] .

وفيما ذكر الكفاية على نسبة الكتاب إلى مؤلفه ، بالإضافة إلى ذكر الصفدى للكتاب ضمن مؤلفات الصولى فى ترجمته له ، فقال : « ... وَكتاب الشبَّان عَمِلَهُ لِابنِ الْفُرَات ... »[2] .

(١) كنز الكتاب ومنتخب الآداب لأبى إسحاق البونسى : ١/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

(٢) الوافى بالوفيات : ٥/ ١٢٥ .

وتجدر الإشار إلى قيمة هذا الكتاب بإحياء هذا الأثر ونسبته إلى صَاحِبِه اللغَوِيِّ الحجَّة والأديبِ النِّحْرِير أبى بكر الصولى ، ولقد كان لهذا الكتاب أثر عظيم فى نفس مؤلفه حتى اتهم بعضَ أهل زمانه بالسرقة من بعض كتبه لاسيما هذا الكتاب ، فقال فى رسالته إلى مزاحم بن فاتك : « وأَنْتَ أَعَزَّكَ الله تَشْهَدُ لِي مِنْ بَيْنِ النَّاسِ أنَّ أبَا مُوسَى الحَامِضَ كانَ يَثْلُبُنِى عِنْدَك وتَنْهَاهُ ، ويُكْثِرُ مِن عَيْبِى والطَّعْنِ عَلَى سَائِرِ مَا أَمْلَيْتُه ، وأَنَّهُ لَا فَائِدَةَ فِى شَىءٍ مِنْهُ ، فَلَمَّا تُوُفِّى وحُمِلَتْ كُتُبُه إِلَيْكَ وَجَدْتَ أَكْثَرَ مَا أَمْلَيْتُه من كتابِ (الشَّامِل فى عِلْمِ القُرْآن) وكَتَابِ (الشُّبَّانِ) ، و(النَّوَادِر) ، ومَا مَرَّ مِنْ شِعْرِ أَبِى نُوَاسٍ ، قَد كَتَبَهُ كُلَّهُ بِخَطِّه ، واتَّخَذَه أُصُولًا يُنْفِقُ مِنْهُ تَفَارِيقَ عَلَى مَنْ يَقْصِدُهُ ، ويَطْلُبُ فَائِدَتَهُ ، فَأَكْبَرْتَ ذَلِكَ وكَثُرَ مِنْهُ عَجَبُكَ »[(١)] .

وقد وهم محققو كتاب أخبار أبى تمام فى هذا النص فى تحرير عنوان كتابين شملهما نص الصولى ، فظنوا (الشبان والنوادر) اسما لكتاب واحد ، وكان من أثر ذلك أن تبعهم فى هذا الخطأ الدكتور خلف رشيد نعمان محقق كتاب (شرح الصولى لديوان أبى تمام) عند ذكره لمؤلفات الصولى المفقودة[(٢)] ، ثم صحف العنوان الصحيح للكتاب الذى بين أيدينا فكان عنوانه لديه « كتاب تفضيل السنان)، عمله لأبى الحسن على بن الفرات »[(٣)] ، وذكره ضمن كتب الصولى المفقودة .

(١) أخبار أبى تمام : ١٠، ١١ .

(٢) شرح ديوان أبى تمام : ١/ ١١٠ .

(٣) شرح ديوان أبى تمام : ١/ ١٠٩ .

والصواب أن كتاب النوادر للصولى مُؤَلَّفٌ مستقل ، وقد نقل عنه أبو العلاء وهو يتكلم عن أبى عيسى بن هارون الرشيد ، فقال : [١] « ... كَانَ أَبُو عِيسَى المذْكُور يُسْتَحْسَنُ شِعْرُه فِى البَيْتَيْنِ والثَّلَاثَةِ ، وأَنْشَدَ لَهُ الصُّولِى فِى (نَوَادِرِه) :

لِسَانِى كَتُومٌ لِأَسْرَارِه وَدَمْعِى نَمُومٌ بِسِرِّى مُذِيعُ

ولَوْلَا دُمُوعِى ، كَتَمْتُ الهَوَى وَلَوْلَا الهَوَى ، لَمْ يَكُنْ لِى دُمُوعُ»

ونقل عنه ياقوت الحموى فقال : [٢] « ذَكَرَ الصُّولِى فِى (نَوَادِرِه) قَالَ : حَدَّثَنِى عَلِىُّ بنُ مُحَمَّد بنِ نَصْر، قَالَ حَدَّثَنِى خَالى أَحْمَد بن حَمْدُونَ ، قَالَ : قَالَ الحُسَيْنُ بنُ الضَّحَّاك من أَبْيَات ، وقَدْ عَمَّر :

أَمَا فِى ثَمَانِينَ وُفِّيْتُهَا عُذَيْرٌ وإِنْ أَنَا لَمْ أَعْتَذِرْ

وَقَدْ رَفَعَ اللهُ أَقْلَامَهُ عَنِ ابْنِ ثَمَانِينَ دُونَ البَشَرْ

وَإِنِّى لَمِنْ أُسَرَاءِ الإِلَهِ (م) فِى الأرض نَصْبُ حُرُوفِ القَدَرْ

فَإِنْ يَقْضِ لِى عَمَلًا صَالِحًا أَثَابَ وإِنْ يَقْضِ شَرًّا غَفَرْ»

ولا أثر لهذين النقلين فى (فضل الشبان) مما يؤكد أن (الشبان) و(النوادر) كتابان وليسا كتابا واحدا كما توهم بعضهم .

(١) رسالة الغفران : ٤٤٧ ، والأبيات من المتقارب .

(٢) معجم الأدباء : ٣/ ١٠٦٦ ، والأبيات من المتقارب .

وصف المخطوط :

هى نسخة عتيقة يتيمة ، لا تحمل اسم المؤلف أو الناسخ ، محفوظة بمكتبة البرلمان الإيرانى ضمن مجموع رقم ٣/ ٧٣٦٠ بفن الأدب ، وتقع فى ترتيب المجموع ثالث الكتب التى يحويها المجموع فى سبع عشرة صفحة ، مكتوبة بخط النسخ ، ومسطرة صفحتها ٢٥ سطرًا ، متوسط السطر من (١٢إلى ١٥) كلمة ، وقد حرص الناسخ على ضبط أغلب الكلمات ، تكاد تخلو هذه النسخة من التصحيف ، ولكن بفعل الرطوبة حدث طمس فى بعض المواضع ، واجتهدت فى استظهارها وضبطها ، وأشرت إلى ذلك فى مواضعه .

والله المسْتَعَانُ ، ومِنْهُ التَّسْدِيدُ ، وعَلَيْهِ التُّكْلَان .

بسم الله الرحمن الرحيم
الحمد لله حمدا يوجب مزيده ويستتبع رضاه وصلواته على سيدنا محمد عبده
ورسوله ويعقب بفضل ثوابه لقضاه في فضل الشيان وتوقير اكرهم على
ذوي الاسنان وترتيبهم بحسب التقدم والتاخر والصغر والكبر والحداثه والرجله وذكرنا
من قدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاه لكفايته والفضيله فيه
على الكبار من اصحابه فتاوصيه عليه بسنته ولا ابطل بذلك حقه ومن
ولي من الخلفاء على مشايخ اهله وكل لعله يصح لموضعه ووصفنا مبلغ سنه
وعددنا الرؤساء والاشراف ممن تقدم براعه وساد بنفسه فقدم
على نظرائه وولي على آبائه وذكرنا ما استغرب من كلام الصبيان وحكمهم
ومن شعر من الفرسان والشعراء في الحداثه وسنبين ذلك ونخصه
ان شاء الله تعالى وانما حدانا على تاليف هذا الكتاب ما وهبه الله
عز وجل لامير المؤمنين المقتدر بالله ادام الله سلطانه ومد ايامه
وخصه به من وفاره العقل وتكامل الفضل وجليل البذل وبعد الذكر
وحسن الرأفه مع ابتداء الحنكه واستقبال التجربه وعنفوان الشباب
وساعده الله جل وعز الوزير ابا الحسن ايده الله ووفقه له من الاضواء
اليه والوقوف لديه والذلاله عليه وترك الرضا الا به مع كثره
الاراء وتفرق الاهواء فاتى الامر من بابه واورده مواردة وقرب
بعيده واصلح فاسده وآمن خوفه واسعد جده واوضح نهجه ولم
شعث الامه واخلال الدوله واطفاء نار الفتنه كفاه الله وكفا به
واصلحه واصلح على يده وقد نظمت في وصف هذا ابيانا حسن في هذا
الموضع ذكرها ثم اعود لما ابتدات الكتاب له ان شاء الله تعالى وهي

• لبيك يا خير منصور ويا خلفه خير الورى اجعفر
• امام هدى عمنا جوده فاضح كالعارض الممطر
• انت من الشمس في حسنها وازهر من بدرها الازهر
• وليتا الامور فاورد تها موارد محمودة المصدر

الصفحة الأولى

وعدد ماله خمسا وعشرين حجة فلما توفاها استوى سمدا فخما
فجعنا به لما رجونا إيابه على خير حال لا وليدا ولا فحما

وقال الاصمعي قال رجل لجرير من أشعر الناس قال الذي يقول

عدد ما عد ما اقرب اليوم من غد يعني طرفة

وفي خبر آخر قال الذي يقول

سيأتيك بالانباء من لم تبع له بتاتا ولم تضرب له وقت موعد
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود

قوله لم تبع له بتاتا البتات الزاد وتقول العرب بتّ اي تزود وقال محمد بن سلام وفد طرفة على عمرو بن هند وهو شاب فدعاه الى ان يقيم عنده واعجبه شعره ولسانه فقال اني اخاف على ابلي فقال بشر ابن قيس النصري وكان عامل المنذر وقابوس بن المنذر قد أجرناها فاقام فيهم يتقدم عند عمرو بن هند الناس وامثاله حين قدم على عمرو بن هند من كلثوم التغلبي وكان متكبرا مختالا فانشده شعرا له وصف فيه جملا فبينما هو في صفته خرج الى ما يوصف به الناقة فقال له طرفة استنوق الجمل فغضب عمرو وهاج طرفة وكان ميل عمرو مع طرفة فاستعلاه عمرو بفضل العلم فقال طرفة ابيانا تخر فيها

وهي

اشجال ام قد مه ام رماد دارس حممه

فغضب عمرو وقال

الا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الاندرينا

تم

والحمد لله وحده والشكر والثناء الحسن
الجميل كما هو اهله
وصلواته وسلامه على سيدنا محمد خير خلقه والروحه وعترته الطاهرين
وحسبنا الله ونعم الوكيل

٥

الصفحة الأخيرة

فضل الشبَّان
على كثير ممن تقدم من ذوى الأسنان
(النص المحقق)
بسم الله الرحمن الرحيم

[١/ أ] الحَمْدُ لله حَمْدًا يُوجِبُ مَزِيدَهُ ، ويُبَلِّغُ رِضَاهُ ، وصَلَوَاتُه عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِه ورَسُولِه ، وبَعْدُ ..

فَهَذَا كِتَابٌ أَلَّفْنَاهُ فى فَضْلِ الشُّبَّانِ ، وتَقَدُّمِ أكْثَرِهِم عَلَى ذَوِى الأَسْنَانِ ، وفَرَّقْنَا فِيهِ بَيْنَ الصِّغَرِ والكِبَرِ والحَدَاثَةِ ، والرُّجْلَةِ [(١)] .

وذَكَرْنَا مَنْ قَدَّمَهُ رَسُولُ الله ﷺ وَوَلَّاهُ لِكَفَاءَتِه ، والفَضِيلَـة فِيهِ عَلَى الكُبْرَاءِ مِنْ أَصْحَابِه ، فَمَا وَضَعَتْهُ عِنْدَهُ سِنُّهُ ، ولَا أَبْطَلَ بِذَلِكَ حَقَّهُ ، ومَنْ وُلِّىَ مِنَ الخُلَفَاءِ عَلَى مَشَايِخ وخُبْرَةِ أَهْلِهِ ، ومَنْ لَعَلَّهُ يَصْلُح لِمَوْضِعِهِ ، وَوَصَفْنَا مَبْلَغَ سِنِّه .

وعَدَدْنَا الرُّؤَسَاءَ والأَشْرَافَ مِمَّنْ تَقَدَّمَ بِرَأْيِه ، وسَادَ بِنَفْسِهِ ، فَقُدِّمَ عَلَى نُظَرَائِه ، وَوُلِّىَ عَلَى آبَائِه .

وذَكَرْنَا مَا اسْتُغْرِبَ مِنْ كَلَام الصِّبْيَانِ وحِكَمِهِم ، ومَنْ شُهِرَ مِنَ الفِرْسَانِ والشُّعَرَاءِ فى الحَدَاثَةِ ، وسَنُبَيِّنُ ذَلِك ونُلَخِّصُه إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى .

(١) سبق تفصيل الكلام عن الصيغة (الرُّجْلَة) ص ٣٩ .

وإِنَّمَا حَدَانَا إِلَى تَأْلِيفِ هَذَا الكِتَابِ مَا وَهَبَهُ اللهُ – عَزَّ وجَلَّ – لأَمِيرِ المؤْمِنِينَ المقْتَدِرِ بِالله [١] – أَدَامَ الله سُلْطَانَهُ ، ومَدَّ أَيَّامَهُ – وخَصَّهُ بِهِ مِنْ وَفَارَةِ العَقْلِ ، وتَكَامُلِ الفَضْلِ ، وجَلِيلِ البَذْلِ ، وبُعْدِ الذِّكْرِ ، وحُسْنِ الرَّأْفَةِ مَعَ ابْتِدَاءِ الحِنْكَةِ ، واسْتِقْبَالِ التَّجْرِبَةِ ، وعُنْفُوَانِ الشَّبَابِ ، ومَا عَضَّدَ الله – جَلَّ وعَزَّ – الوَزِيرَ أَبَا الحَسَنِ [٢] – أَيَّدَهُ اللهُ – وَوَفَّقَهُ لَهُ مِنَ الانْزِوَاء إِلَيْهِ ، والوُقُوفِ لَدَيْهِ ، والدِّلَالَةِ عَلَيْهِ ، وَتَرْكِ الرِّضَا إِلَّا بِهِ مَعَ كَثْرَةِ الآرَاءِ ، وتَفَرُّقِ الأَهْوَاءِ ، فَأَتَى الأَمْرَ مِنْ بَابِهِ ، وَأَوْرَدَهُ مَوَارِدَهُ ، وقَرَّبَ بَعِيدَهُ وأَصْلَحَ فَاسِدَهُ ، وآمَنَ خَوْفَه ، وأَسْعَدَ جَدَّهُ ، وَأَوْضَحَ نَهجَهُ ، ولَمَّ شَعَثَ الأُمَّة ، واخْتِلَالَ الدَّوْلَة ، وأَطْفَأَ نَارِ الفِتْنَة ، كَفَاهُ اللهُ ، وكَفَى بِه ، وأَصْلَحَهُ ، وأَصْلَحَ عَلَى يَدِهِ .

وَقَدْ نَظَمْتُ فِي وَصْفِ هَذَا أَبْيَاتًا ، يَحْسُنُ فِي هَذَا المَوْضِعِ ذِكْرُهَا ، ثُمَّ أَعُودُ

---

(١) هو المقتدر بالله أبو الفضل جعفر بن المعتضد بالله أحمد العباسى البغدادى ، بويع بالخلافة بعد أخيه المكتفى بالله فى سنة خمس وتسعين مائتين ، وسنه ثلاث عشرة سنة ، ولم يَلِ الأمْرَ مِنْ قَبْلِه مَنْ هُو أصغرُ مِنْهُ سِنًّا ، وخُلِعَ سنة ست وتسعين ومائتين ، ثم أعيد إلى الخلافة ، ثم خُلِع سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، ثم أعيد بعد ثلاثة أيام ، وكان جَيِّدَ العَقْلِ صَحِيحَ الرَّأى ؛ ولكنه كان مؤثرا للشهوات ، قتل لثلاث بقين من شوال سنة عشرين وثلاثمائة ، وكان له يوم قتل ثمان وثلاثون سنة ، وولى الخلافة من أولاده ثلاثة : الراضى والمقتفى والمطيع ، ينظر ترجمته فى الوافى بالوفيات : ١١/ ٧٣ ، ٧٤ ، سير أعلام النبلاء : ١٥/ ٤٣ .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد بن موسى بن الفرات وزير المقتدر ، كان صالحا ، عالما من خيار الوزراء، كثير البر والمعروف والصلاة والصيام ، وزر للمقتدر ثلاث دفعات ، الأولى بعدما أعيد المقتدر للخلافة بعد خلعه فى المرة الأولى فى فتنة ابن المعتز فولاه الوزارة بعدما قتل وزيره العباس بن الحسن فى ربيع الأول سنة ست وتسعين ومائتين ، ولم يزل وزيره حتى قبض عليه فى ذى الحجة فى سنة تسع وتسعين ومائتين ، ثم عاد للوزارة فى ذى الحجة سنة أربع وثلاثمائة ، ثم قبض عليه فى جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة ، ثم عاد للوزارة فى ربيع الآخر سنة إحدى عشرة وثلاثمائة ، ولم يزل حتى قبض عليه سنة اثنتى عشرة وثلاثمائة . ينظر ترجمته فى وفيات الأعيان : ٣/ ٤٢١ ، الوافى بالوفيات : ٢٢/ ٩١ .

لِـمَا ابْتَدَأْتُ الكِتَابَ لَهُ – إِنْ شَاءَ الله تَعَالَى – وهِيَ [١] :

لِيَهْنِـكَ يَـا خَـيْرَ مُسْـتَوْزَرِ ... خِلاَفَـةُ خَـيْرِ الـوَرَى جَعْفَـرِ

إِمَـامِ هُـدًى عَمَّنَـا جُـودُهُ ... فَأَصْـبَحَ كَالعَـارِضِ المْطِـرِ

أَتَـمَّ مِـنَ الشَّـمْسِ فِى حُسْـنِهَا ... وأَزْهَـرَ مِـنْ بَـدْرِهَا الأَزْهَـرِ

وَلِيـتَ أُمُـورًا فَأَوْرَدْتَهَـا ... مَـوَارِدَ مَحْمُـودَةَ المْصْـدَرِ[١/ ب]

وحُطْـتَ الإِمَـامَ وأَمْوَالَـهُ ... عَـلَى رَغْـمِ بَـاغٍ وَمُسْـتَكْبِرِ

وَقَـدْ أَقْبَلَـتْ نَحْوَنَـا فِتْنَـةٌ ... تَـرُوعُ بِجَانِبِهَـا الأَوْعَـرِ

فَـأَشْرَقَ رَأْيُـكَ فِى لَيْلِهَـا ... وَأَوْضَـحَ للسَّـامِعِ المْبْصِرِ

وأَصْـلَحْتَ بِالعَـدْلِ مِـنْ جَوْرِهَـا ... وَأَسْرَعْـتَ بِـالعُرفِ فى المْنْكَـرِ

وكَانَـتْ سُـعُودُكَ فِى نَحْسِـهَا ... أَتَـمَّ سُـعُودٍ مِـنَ المْشْـتَرِى

وقَوَّمْـتَ فِى سَـاعَةٍ دَوْلَـةً ... تَمِيـلُ بِغَـيْرِكَ فِى أَشْـهُرِ

فَأَلْسِـنَةُ النَّـاسِ مَجْمُوعَـةٌ ... فَمِـنْ بَـيْنِ دَاعٍ ومُسْتَبْشِرِ

بَقِيْـتَ ولَا زِلْـتَ فى نِعْمَـةٍ ... تَـدُومُ وتَبْقَـى عَـلَى الأَعْصُرِ

والسِّنُ لَا تُقَدِّمُ مُؤَخَّرًا ، ولَا تُؤَخِّرُ مُقَدَّمًا ، بَلْ رُبَّمَا عُدِلَ بِجَلِيلِ الأُمُورِ ، ومُهِمِّ الخُطُوبِ إِلَى كَلِمَةِ الفِتْيَانِ ؛ لاسْتِقْبَالِ أَيَّامِهِم وسُرْعَةِ حَرَكَتِهِم ؛ ولأَنَّهُم عَلَى ابْتِنَاءِ المجْدِ وبُعْدِ الصَّوْتِ أَحْرَصُ ، وإِلَيْهِ أَحْوَج .

(١) من المتقارب ، والأبيات لأبى بكر الصولى صاحب الكتاب ، وقد حفظ هذه الأبيات له بزيادات لم ترد هنا أبو إسحاق البُونسى (ت ٦٥١) ونص على نسبتها للصولى . ينظر : كنز الكتاب ومنتخب الآداب لأبى إسحاق البونسى : ١/ ٣٨٢ ، ٣٨٣ .

وقَدْ أَخْبَرَ اللهُ - جَلَّ وعَزَّ - أَنَّه آتى يَحْيَى بْنَ زَكَرِيَّا - صَلَوَاتُ الله عَلَيْهِمَا - الحِكْمَةَ فِي سِنِّ الصِّبَا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ (مريم: ١٢) ، فَلَمْ يَمْنَعْهُ صِغَرُ سِنِّه مِنْ أَنْ آتَاهُ اللهُ - عَزَّ وجَلَّ - الحِكْمَةَ ، وأَهَّلَهُ لِحَمْلِهَا ، والقِيَامِ بِهَا ، والاسْتِقْلَالِ بِالكِتَابِ ، ثُمَّ جَعَلَ اسْتِقْلَالَه إِيَّاه بِقُوَّةٍ .

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِي الله عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي قوله تعالى : ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ، هُوَ يَحْيَى بنُ زَكَرِيَّا ، أُوتِيَ الفَهْمَ والعِبَادَةَ ، ولَهُ سَبْعُ سِنِينَ [١]، ثُمَّ مَا أَخْبَرَ الله - عَزَّ وجَلَّ - عَنِ المسِيحِ - صَلَواتُ الله عَلَيهِ - مِنْ تَكَلُّمِه فِي المهْدِ صَبِيًّا ، ونُطْقِ لِسَانِه بِالحِكْمَةِ ، وهُو فِي حَالِ طُفُولَةٍ ، فَلَمْ يَقْصُر بِهِ صِغَرُه ، ولا مَنَعَهُ صِبَاهُ أَنْ أُهِّلَ للحِكْمَة ، وأُنطِقَ بِهَا لِسَانُهُ حَتَّى ظَهَرَتْ بِهَا آيَتُه ، وعَظُمَ بِهَا شَأْنُهُ ، وتَبَيَّنَ بِهَا مَا يَكُونُ مِنْ أَمْرِه بَعْدَ بُلُوغِهِ ؛ لِقَوْلِه : ﴿ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴾ (مريم: ٣٠) ، ومَا بَعْدَ هَذَا مِنَ الآيَاتِ .

وَفِي ذِكْرِ عِيسَى ويَحْيَى - عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - يَقُولُ الفَضْلُ بن جَعْفَر بن الفَضْلِ الكَاتِبُ [٢] يُشِيرُ عَلَى المسْتَعِينِ بِأَنْ يُوَلِّيَ ابْنَه العَبَّاسَ العَهْدَ ، وإِنْ كَانَ

(١) كذا جاء عن ابن عباس مرفوعا إلى النبى ﷺ أنه كان ابن سبع سنين . ينظر : زاد المسير لابن الجوزى : ٥/ ٢١٣ ، البحر المحيط : ٦/ ١٦٨ ، عمدة القارى : ١٦/ ٣٠ ، وجاء عن ابن عباس أيضا أنه كان ابن ثلاث سنين . ينظر : معالم التنزيل للبغوى : ٥/ ٢٢١ .

(٢) هو أبو على النَّخْعِى الشاعر المعروف ، اسمه الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس ، أنبارى الأصل ، انتقل إلى الكوفة ، وكان ضريرا ، ولقب بالبصير لذكائه وفطنته ، وكان يتشيع ، وهو أحد الأدباء البلغاء الظرفاء ، قدم بغداد أول خلافة المعتصم ، ومدحه ، ومدح الخلفاء بعده ، وتوفى بسر من رأى سنة (٢٥٥ هـ) ، ينظر ترجمته فى : معجم الشعراء : ٢٢٥ ، نكت الهميان فى نكت العميان : ٢٢٥ ، الأعلام للزركلى : ٥/ ١٤٧ .

صَغِيرًا ، وهُو قَوْلُه [١] :

بِكَ اللهّ حَاطَ الدِّينَ وَانْتَاشَ أَهْلَهُ مِنَ الْمَوْقِفِ الدَّحْضِ الذِى مِثْلُه يُرْدِى

فَوَلِّ ابْنَكَ العَبَّاسَ عَهْدَكَ إِنَّهُ لَهُ مَوْضِعٌ واكْتُبْ إِلَى النَّاسِ بِالعَهْدِ [٢/ أ]

فَإِنْ خَلَّفَتْهُ السِّنُ فَالعَقْلُ بَالِغٌ بِهِ رُتْبَةَ الشَّيْخِ الموَفَّقِ للرُّشْدِ

فَقَدْ كَانَ يَحْيَى أُوتِىَ العَلْمَ قَبْلَه صَبِيًّا وَعِيسَى كَلَّمَ النَّاسَ فِى المهْدِ

فَفِى هَذَيْنِ الاثْنَيْنِ الدَّلَالَةُ وَاضِحَةُ الحُجَّة عَلَى أنَّ السِّنَّ لَا تَقْصُر بِمَنْ بَكَرَ عَقْلُه ، وصَحَّ تَمْيِيزُهُ ، وخَلُصَ قَلْبُه ، إِذْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ – صَلَواتُ الله عَلَيْهِم – لما أَعْطَاهُمُ الله ذَلِكَ وفَضَّلَهُم بِهِ ، لَمْ يَمْنَعْهُم صِغَر السِّنِّ ، ولَا حَدَاثَةُ المَوْلِدِ مِمَّا خُصُّوا بِهِ ، وأُهِّلُوا لَهُ .

وَقْد ذَكَرَ الله – عَزَّ وجَلَّ – الفِتْيَةَ فِى غَيْرِ مَوْضِعٍ مِنَ القُرْآنِ للأَحْدَاثِ وغَيْرِهِم ، فَقَالَ – عَزَّ وجَلَّ – : ﴿إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ﴾ (الكهف: ١٠)، وقَالَ – عَزَّ مَنْ قَالَ – : ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ (الكهف: ١٣) ، وقال عَزَّ وجَلَّ : ﴿وَقَالَ لِفِتْيَٰنِهِ [٢] ٱجْعَلُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ﴾ (يوسف : ٦٢) ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ (الأنبياء :٦٠)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ﴾ (الكهف : ٦٠) ، وَجَاءَ فِى التَّفْسِير ﴿وَٱخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُۥ سَبْعِينَ رَجُلًا لِّمِيقَٰتِنَا﴾ (الأعراف : ١٥٥)،

(١) من الطويل ، والأبيات منسوبة له فى مروج الذهب : ٤/ ١٢٦ ، ط المكتبة العصرية ، الأولى ، ٢٠٠٥م .

(٢) قرأ بها ابن عامر وأبو عمرو ونافع وابن كثير . ينظر : السبعة لابن مجاهد : ٣٤٩ ، الحجة للقراء السبعة للفارسى : ٤/ ٤٣٠ ، المبسوط فى القراءات العشر لابن مهران : ٢٤٧ .

أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِيهِم ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَة إِلَّا أَقَلَّ[١] ، وقِيلَ : لَمْ يَكُنْ فِيهِم ابْنُ ثَلَاثِينَ سَنَةً إِلَّا أَقَلَّ .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ الله عَنْهُ – قَالَ : مَا بَعَثَ الله نَبِيًّا إِلَّا شَابًّا ، ولَا أُوتِيَ العِلْمَ عَالِمٌ إِلَّا وهُو شَابٌّ ، وَتَلَا هَذِه الآيَةَ : ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ (الأنبياء: ٦٠)[٢].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِى الله عَنْهُ – مَا بَعَثَ الله نَبِيًّا إِلَّا شَابًّا ، وقَرَأَ : ﴿ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴾ (الأنبياء: ٦٠) ، وَقَرَأَ : ﴿ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ (الكهف: ١٣) ، وَقَرَأَ : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ ﴾ (الكهف: ٦٠)[٣] .

وعَنْ قَتَادَة[٤] أَنَّهُ قَالَ : الحَوَائِجُ مِنَ الشَّابِّ أَقْرَبُ مِنْهَا مِنَ الشَّيْخِ ، أَلَا تَرَى أَنَّ يُوسُفَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – قَالَ لِإِخْوَتِهِ : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ (يوسف: ٩٢) ، وَقَالَ يَعْقُوبُ – عَلَيْهِ السَّلَامُ – : ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ﴾ (يوسف: ٩٨) .

---

(١) حكى الطبرى نحو هذا عن أبى سعيد الرقاشى فى تأويل هذه الآية : « كَانُوا أَبْنَاء مَا عَدَا عِشْرِينَ وَلَمْ يَتَجَاوَزُوا الْأَرْبَعِينَ، وَذَلِكَ أَنَّ ابْنَ عِشْرِينَ قَدْ ذَهَبَ جَهْلُهُ وَصِبَاهُ ، وَأَنَّ مَنْ لَمْ يَتَجَاوَزِ الْأَرْبَعِينَ لَمْ يَفْقِدْ مِنْ عَقْلِهِ شَيْئًا » جامع البيان : ١٠/ ٤٧١ ، وينظر : الكشاف للزمخشرى : ٢/ ٥١٦ .

(٢) كذا عن ابن عباس فى رواية ابن أبى حاتم الرازى فى تفسيره : ٨/ ٢٤٥٥ ، وكذا فى تفسير ابن كثير نقلا عن ابن أبى حاتم . ينظر : تفسير ابن كثير : ٥/ ٣٤٩ ، وينظر : الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ١١/ ٢٩٩ .

(٣) كذا الرواية عن ابن عباس فى الأحاديث المختارة للضياء المقدسى : ١٠/ ١٦ .

(٤) [قتادة] كذا فى الأصل ، والرواية عن شيخه عطاء بن أبى رباح الخراسانى (ت ١٣٥ هـ) ، حكى أبو نعيم الأصبهانى عن عطاء: « طَلَبُ الْحَوَائِجِ مِنَ الشَّبَابِ أَسْهَلُ مِنْهُ مِنَ الشُّيُوخِ ، أَلَمْ تَرَ إِلَى قَوْلِ يُوسُفَ : ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾ ، وَقَالَ يَعْقُوبُ: ﴿ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ﴾ » . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ٥/ ١٩٦ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبى : ٩/ ٢٥٨ .

من ولاه رسول الله ﷺ من الأحداث

دَفَعَ رَسُولُ الله ﷺ إِلَى عَلِيِّ بنِ أَبِى طَالِبٍ الرَّايَةَ يَوْمَ بَدْرٍ دُونَ غَيْرِه (١) ، فَمَا أَخَّرَهُ صِغَرُ سِنِّه وقِصَرُ أَيَّامِهِ أَنْ قَدَّمَهُ الله ورَسُولُهُ ، وَأَمَرَهُ فِى تِلْكَ اللَّيْلَةَ بِتَعْوِيرِ آبَارِ بَدْر (٢) ، فَكَانَتْ وِلَايَةً مِنْ رَسُولِ الله ﷺ .

وَعَنْ عَلِيٍّ – رَضِىَ الله عَنْهُ – أَنَّه قَالَ أَمَرَنِى رَسُولُ الله ﷺ لَيْلَةَ بَدْرٍ أَنْ أُعَوِّرَ الآبَارَ (٣) .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِىَ الله عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ دَفَعَ الرَّايَةَ إِلَى عَلِيٍّ – رَضِىَ الله عَنْهُ – يَوْمَ بَدْرٍ ، ولَه عِشْرُونَ سَنَةً (٤) ، وفى حَدِيثٍ آخَرَ : وَلَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَة .

---

(١) ينظر : الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر : ١٠٢ .

(٢) جاء في الحديث « أَنَّه ﷺ أَمَرَ عَلِيًّا – رَضِى الله عَنْهُ – أَنْ يُعَوِّرَ آبارَ بَدْرٍ » المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث : (عور) ، وعلق المدينى على الحديث بقوله : « أي يَدفِنَها وَيطُمَّها. وعَوَّرت الرَّكِيّةَ: كَبَسْتُها ، ورَكِيَّة عُوْرَان : مُتَهدِّمة ، وعارَتِ العينُ تَعارُ عَوْرًا وعَوَّرَت، وتَعوَّرت: ذَهبَت ، [وَعُرْتُها] وأَعْوَرْتُها وعَوَّرْتُها أَنَا . ويُحْتَمل أن يكون تَعوِيرُ الآبارِ والرَّكَايا يُرادُ به تَعوِيرُ عُيونِها التي يَنْبُع منها المَاءُ ، تَشبِيهًا بِعُيُونِ الحَيوانِ » ، وينظر : النهاية فى غريب الحديث والأثر : (عور) ، الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول : (عور) ، ما بين المعقوفين فى المطبوع [وَعُرْتُها] وهو تصحيف .

(٣) جاء فى الحديث : « عَنْ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ : أَمَرَنِي رَسُولُ الله ﷺأَنْ أُعَوِّرَ مَاءَ آبَارِ بَدْرٍ » السنن الكبرى للبيهقي : ٩/ ١٤٥ ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ٤/ ٣٦٧ ، والرواية بالغين المعجمة ، وقد جاءت الرواية بالعين والغين كليهما فى قول الحباب بن المنذر : « ... فَانْهَضْ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى قَلِيبٍ إِلَى الْقَوْم فَنَنْزِلَه ثمَّ نُعَوِّرَ مَا سِوَاه مِنَ الْقُلُبِ » تصحيفات المحدثين : ٢/ ٤٠٥ ، وعلق ملا على القارى على الروايتين فقال : « نُعَوِّرِ بِتَشْدِيدِ الواوِ المكسورةِ بَعْدَ عَيْنٍ مُهْمَلة ، وقِيلَ : مُعْجَمَةٌ ، فَعَلَى الأَوَّلِ ، أى نُفْسِدها عَلَيْهِم ، وعلى الثَّاني ، نُذْهِبها فى الأَرْضِ ، ونَدْفِنها لِئَلَّا يَقْدِروا عَلَى الانْتِفَاعِ بِهَا » شرح الشفا : ٢/ ٣٣٩ ، وسبق تفصيل القول على لفظتى (التعوير والتغوير) فى ص : ٣٠ .

(٤) كذا الرواية عن ابن عباس فى تاريخ دمشق لابن عساكر : ٤٢/ ٧١ ، ٧٢ .

وعَنْ أَبِى إِسْحَاقَ[١] قَالَ : كَانَ أَشَدُّ أَصْحَابِ النَّبِىِّ ﷺ أَرْبَعَةً : [٢/ ب] عَلِىٌّ ، وعُمَرُ ، وسَعْدٌ ، والزُّبَيرُ[٢] .

وهَؤُلَاءِ الأَحْدَاثُ مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَعُمَرُ أَسَنُّ الأَرْبَعَةِ .

وعَنِ ابْنِ طَلْحَةَ[٣] قَالَ : كَانَ عَلِىٌّ والزُّبَيْرُ وطَلْحَةُ وسَعْدٌ عِذَارَ عَامٍ وَاحِدٍ[٤] .

والفَرْقُ بَيْنَ الرِّجَالِ والصِّبْيَانِ والصِّغَرِ والكِبَرِ

والذِى عَلَيْهِ الفُقَهَاءُ مُجْمِعُونَ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ ، رَوَاهُ عَبْدُ الله بْنُ نُمَيْرٍ[٥] عَنْ عُبَيْدِ الله بْنِ عُمَرَ[٦] عَنْ نَافِعٍ[٧] عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : عَرَضَنِى رَسُولُ الله ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ وأَنَا ابْنُ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَةً فَلَمْ يُجِزْنِى ، وعَرَضَنِى يَوْمَ الخَنْدَقِ وأَنَا ابْنُ

(١) هو أبو إسحاق الشيبانى سليمان بن أبى سليمان ، مولى بنى شيبان بن ثعلبة الكوفى ، روى عن بعض الصحابة كابن عمر وجابر وعبد الله بن أبى أوفى ، ثقة صدوق ، توفى سنة (١٣٨ هـ) أو قريبا منها . ينظر سير أعلام النبلاء : ٦/ ١٩٣ .

(٢) كذا الرواية عن أبى إسحاق فى تاريخ دمشق : ٢٠/ ٣٢٢ ، ويعنى سعد بن أبى وقاص .

(٣) هو موسى بن طلحة بن عبيد الله التيمى المدنى ، حدث عن والده وجماعة من الصحابة منهم عثمان وعلى وأبى ذر وأبى هريرة ، مات سنة ثلاث ومائة . ينظر سير أعلام النبلاء : ٤/ ٣٦٤ .

(٤) كذا الرواية فى تاريخ دمشق : ٤٢/ ١٩ ، وسير أعلام النبلاء : ١/ ٤٤ .

(٥) هو عبد الله بن نمير الهمدانى ، الحافظ الثقة ، روى عن هشام بن عروة ، والأعمش وعبيد الله بن عمر العمرى ، حدث عنه أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وغيرهما ، ولد سنة خمس عشرة ومائة ، وتوفى سنة تسع وتسعين ومائة . ينظر سير أعلام النبلاء : ٩/ ٢٤٤ .

(٦) فى المخطوط [عبد الله بن عمر] ، والصواب ما أثبته ، وهو عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، أثبت وأحفظ وأكثر من روى عن نافع ، توفى سنة سبع وأربعين ومائة . ينظر سير أعلام النبلاء : ٦/ ٣٠٤ .

(٧) هو أبو عبد الله القرشى ثم العدوى ، مولى عبد الله بن عمر وراويته ، ولاه عمر بن عبد العزيز صدقات اليمن ، مات سنة سبع عشرة ومائة . ينظر سير أعلام النبلاء : ٥/ ٩٥ .

خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَة فَأَجَازَنِى [١] .

قَالَ نَافِع : فَحَدَّثْتُ بِه عُمَرَ بن عَبْدِ العَزِيزِ ، فَقَالَ : إِنَّ هَذَا أَصْلُ الحَدِّ بَيْنَ الصِّغَرِ والكِبَرِ ، وكَتَبَ إِلَى عُمَّالِه أَنْ يُفْرَضَ لابنِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَة [٢] .

وقد أَمَّرَ رَسُولُ الله ﷺ سَعْدَ بنَ أَبِى وَقَّاصٍ ، وَسِنُّه دُونَ العِشْرِينَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المدِينَةَ .

وعَنْ [عَامِر بنِ] [٣] سَعْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ فِى عِشْرِينَ رَجُلًا عَلَى أَقْدَامِنَا ، فَكُنَّا نَكْمُنُ النَّهَارَ ونَظْهَرُ اللَّيْلَ حَتَّى صَبَحْنَا المَوْضِعَ [٤] ، وحَمَلَ اللِّوَاءَ بَيْنَ يَدَيْهِ المِقْدَادُ بنُ عَمْرو الكِنْدِى [٥] .

وَعَنْ سَعْدٍ قَالَ : بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فى رَجَب ، وَأَمَرَنَا أَنْ نُغِيرَ عَلَى حَىٍّ مِنْ كِنَانَةَ إِلَى جَانِبِ جُهَيْنَة ، فَأَغَرْنَا عَلَيْهِم [٦] .

وفِى الحَدِيثِ قَبْلَ وَقْعَةِ بَدْرٍ : و[قَالَ] [٧] سَعْدٌ يَوْمَئِذ : لَيْسَ فِى وَجْهِى شَعْر [٨] .

---

(١) كذا الرواية فى الطبقات الكبرى لابن سعد : ٤/ ١٣٣ ، معرفة الصحابة لأبى نعيم : ٣/ ١٧١١ ، تاريخ دمشق : ٦١/ ٤٢٢ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد : ٤/ ١٣٤ ، تاريخ دمشق : ٦١/ ٤٢٣ .

(٣) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط ، أثبته من المغازى للواقدى : ١/ ١١ ، البداية والنهاية : ٤/ ٥٧٩ .

(٤) يعنى بالموضع (الخَرَّار) ، وهو الموضع الذى بعث رسول الله إليه السَّرِيَّة بقيادة سعد - رضى الله عنه - فى ذى القعدة فى السنة الأولى من الهجرة .

(٥) ينظر الرواية بتمامها فى : المغازى للواقدى : ١/ ١١ ، تاريخ الرسل والملوك للطبرى : ٢/ ٤٠٣ ، البداية والنهاية : ٤/ ٥٧٩ .

(٦) ينظر : البداية والنهاية : ٥/ ٣٤ .

(٧) ما بين المعقوفين زيادة ليست فى الأصل المخطوط كى يستقيم النص .

(٨) عن عامر بن سعد عن أبيه قال : « ... وَلَقَدْ شَهِدْتُ بَدْرًا ، وَمَا فِى وَجْهِى شَعْرَةٌ وَاحِدَةٌ أَمْسَحُهَا بِيَدِى » سير أعلام النبلاء : ١/ ٩٧ .

وَوَلَّى رَسُولُ الله ﷺ قَيْسَ بنَ سَعْد بن عُبَادَةَ ، وهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ وَأَقَلَّ – فِيمَا رُوِىَ – عَلَى سَرِيَّةٍ فِيهَا أَبُو بَكْرٍ – رَضِىَ الله عَنْهُم أَجْمَعِينَ – (١) .

وَوَلَّاهُ يَوْمَ الفَتْحِ عَلَى الأنصَارِ ، وفِيهِم ذَوُو الأسْنَانِ ، ودَفَعَ إِلَيْهِ الرَّايَةَ ، ويُقَالُ : إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ مَا وَلَّى قَيْسًا قَطُّ عَلَى سَرِيَّةٍ ولا غَزَاةٍ ، ولَكِنَّهُ دَفَعَ إِلَى أَبِيهِ سَعْدٍ الرَّايَةَ فِى فَتْحِ مَكَّةَ ، فَارْتَجَزَ ، وقَالَ (٢) :

اليَـــوْمُ يَـــوْمُ الْمَلْحَمَـــهْ اليَـــوْمُ تُسْـــبَى الـــحُرَمَهْ

فَقِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ إِنَّ سَعْدًا يَقُولُ كَذَا ، وَهُمْ أَهْلُكَ ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ مِنْهُ فَدَفَعَهَا إِلَى قَيْسٍ ابنِه (٣) .

وَيُصَحِّحُ ذَلِكَ مَا حَدَّثَنَا بِهِ المغِيرَةُ بن مُحَمَّدٍ المهَلَّبِى (٤) ، قال : أَنْشَدَنِى أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَن الزَّرَقِىّ الأَنْصَارِىّ (٥) لسَعْدِ بنِ عُبَادَةَ الخَزْرَجِىِّ حِينَ أَخَذَ رَسُولُ

(١) ينظر : تاريخ دمشق : ٤٩/ ٤٠١ ، ٤٠٣ ، وروى أيضا أنَّ قَيْس بن سَعْد كَانَ مِن النَّبى ﷺ بمنزلةِ صَاحِبِ الشُّرطة من الأمير . تاريخ دمشق : ٤٩/ ٤٠٢ ، ٤٠٣ .

(٢) من الرجز له ، وقد غيرت بعض ألفاظ الرجز فروى على أنه من المنثور فجاءت الرواية عن سعد بن عبادة : « الْيَوْمَ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلّ الْحُرْمَةُ ، الْيَوْمَ أَذَلّ اللهُ قُرَيْشًا » المغازي للواقدي : ٢/ ٨٢١ ، وحُرَم الرَّجُل : نساؤه وما يحمى ، وكذا [الحُرَمَهْ] فى الأصل ، والهاء فيها هاء الوصل يتبين بها حركة ما قبلها . ينظر القوافى للأخفش : ١١ ، تحـ د/ عزة حسن .

(٣) ينظر المغازى للواقدى : ٢/ ٨٢١ ، ٨٢٢ ، تاريخ دمشق : ٢٣/ ٤٥٤ ، .

(٤) هو أخبارى أديب محدث ، رَوَى عنه أبو بكر الصولى فقال : « سَمِعْتُ المغيرةَ بن محمدٍ يقول : يقال : إِنَّه لم يَجْتَمِع الملوكُ بِبَابِ أَحَدٍ قَط اجْتِمَاعها بِبَابِ المعْتَصِم، ولَا ظَفِرَ مَلِك قَطْ كَظَفَرِه » تاريخ دمشق لابن عساكر (٧٣/ ٢٤٣) ، وأرخ لسنة ميلاده فقال : المغيرة بن محمد المهلبى ولد سنة مائتين من الهجرة . ينظر نور القبس المختصر من المقتبس لليغمورى : ٣٣٤ .

(٥) هو فَضَالة بْن مُحَمَّد بْن شَرِيك بْن جُمَيع بن مسعود . وجميع صحابي من بني عوف بن الخزرج. ينظر : أخبار القضاة : ١/ ٥٠ .

الله ﷺ الرَّايَةَ مِنْ يَدِهِ ودَفَعَها إِلَى ابْنِه ، قَالَ [١] :

لَقَـدْ شَـمَتَتْ حَتَّـى اسْـتُخِفَّتْ لِصَرْفِ لِوَائِى اليَوْمَ فِهْـرُ بْـنُ مَالِـكِ

وقَـدْ غَشِـيَتْهُمْ وَطْـأَةٌ خَزْرَجِيَّـةٌ لَـهَا نَبَـأٌ فِيـهِ اجْتِثَـاثُ الحَـوَارِكِ[٣/ أ]

فَلَـوْلَا رَسُـولُ الله واللهُ غَالِـبٌ عَـلَى أَمْـرِهِ دَاسَـتْهُمُ بِالسَّـنَابِكِ

وَلَكِـنَّهُم قَـامُوا لِلَهْفَـةِ حَطْمَـةٍ أَقَـرُّوا لَـه فِيهَـا بِـذُلِّ الرَّكَائِـكِ

فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ : يَا قَيْسُ ، خُذْ لِوَاءَ أَبِيكَ .

و [قَالَ سَعْد][٢] : قَيْسٌ عُرْضَةٌ للمَهَالِك ، وقَيْسٌ كَسَعَدٍ غَيْرَ أَنَّ فَضِيلَتِى بِسِنِّى ، وَإِنِّى مَدَدُه للمَهَالِك .

وَيُقَال : بَلْ دَفَعَ الرَّايَةَ إِلَى عَلِىٍّ بنِ أَبِى طَالِب – رَضِى الله عَنْهُ – [٣] .

وَأَنْشَدَ ضِرَارُ [بن الـخَطَّاب][٤] الفِهْرِىّ لما سَمِعَ قَوْلَ سَعْدٍ هَذَا بَيْنَ يَدَى رَسُولِ الله ﷺ ، يَقُول [٥] :

(١) من الطويل ، ولم أجد أبيات سعد بن عبادة – رضى الله عنه – هذه فى غير هذا الكتاب . وفى الأبيات : الحَوَارِك جمع حَارِك ، وهى أصول الأكتاف ، والسَّنَابِك جَمْع سُنْبُك ، وهُو طَرَفُ الحَافِر وجَانِبَاه ، والركَائِك جمعُ ركِيك، وهم الضُّعَفاء .

(٢) زيادة ليست فى الأصل ، أضفتها كى يستقيم النص بها .

(٣)ينظر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ٢٨٢ .

(٤) فى الأصل [ضرار بن الأزور] ، والصواب ما أثبته فى المتن ؛ لأن ضرار بن الأزور ليس فهريا وإنما هو أَسَدِى ، أما ضرار ابن الخطاب بن مرداس الفهرى فهو شاعر قريش وفارسها وإليه تنسب الأبيات التالية.

(٥) من الخفيف له فى أخبار مكة للفاكهى : ٤/ ١٤٤ ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ٢٨٢ ، الروض الأنف : ٧/ ١٠٠ ، الوافى بالوفيات : ١٦/ ٢١٠ ، نهاية الأرب : ١٧/ ٢١٣ .

يَـا نبـيَّ الهُـدَى إِلَيْـك لجَـا حَـ (م) ـيُّ قُـرَيشٍ وَلاتَ حِـينَ لَـجَاءِ
حِـينَ ضَـاقَتْ عَلَـيْهِمُ سَـعَةُ الأَرْ (م) ضِ وَعَـادَاهُمُ إِلَـهُ السَّـمَاءِ
إِنَّ سَـعْداً يُرِيـدُ قَاصِـمَةَ الظَّهْـ (م) ـرِ بِأَهْـلِ الحجُـونِ والبَطْحَـاءِ
خَزْرَجِـيٌّ لَـوْ يَسْـتَطِيعُ مِـنَ الغَيْـ (م) ـظِ رَمَانَـا بِالنَّسْرِ والعَـوَّاءِ
فَانْهَيَنْـهُ فإِنَّـهُ الأَسَـدُ الأَسْـ (م) ـوَدُ فِي الحَـرْبِ وَالِغًـا فِي الـدِّمَاءِ
فَلَـئِنْ أَقْحَـمَ اللِّـوَاءَ ونَـادَى يَـا حَمَـاةَ اللِّـوَاءِ أَهْـلَ اللِّـواءِ
ثـمَّ ثَابَـتْ إِلَيْـهِ مِـنْ عُصَـبِ الخَـزْ (م) رَجِ والأَوْسِ أَنْجُـمُ الهَيْجَـاءِ
لَتَكُـونَنَّ بالبِطَـاحِ قُـرَيْشٌ فِقْعَـةَ القَـاعِ فِي أَكُـفِّ الإِمَـاءِ
إِنَّـهُ مُطْـرِقٌ يُجِيـلُ لَنَـا الـرَّأْ (م) ـى سُـكُونًا كَالحيَّـةِ الصَّـمَّاءِ

فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ الله ﷺ ذَلِكَ رَقَّ لِقُرَيشٍ ، وقَالَ لِقَيسٍ خُذِ الرَّايَةَ مِنْ أَبِيك[1] ، فَكَانَ هَذَا سَبَبَهُ .

وَوَلَّى رَسُولُ الله ﷺ عَتَّابَ بنَ أَسِيْد بن أَبِى العِيْصِ مَكَّةَ بَعْدَ فَتْحِهَا ، وَلَهُ إِحْدَى وعِشْرُونَ سَنَةً ، وقِيلَ ثَلَاثٌ وعِشْرُونَ[2] .

وَلَمَّا وَلَّى المأْمُونُ يَحْيَى بنَ أَكْثَم قَضَاءَ البَصْرَةِ ، قَدِمَهَا سَنَةَ اثْنَتَيْنِ ومِائَتَيْن ، وسِنُّه نَيِّفٌ وعِشْرُونَ سَنَةً ، فَأَرَادَ بَعْضُ أَهْلِ البَصْرَةِ يَضَعُ مِنْهُ لِحَدَاثَتِهِ ، فَقَالَ : كَمْ سِنُّ القَاضِى ؟ قَالَ : كَسِنِّ عَتَّابِ بنِ أَسِيْدٍ حِينَ وَلَّاهُ رَسُولُ الله ﷺ مَكَّةَ .

(١) ينظر : الاستيعاب فى معرفة الصحابة : ٢٨٢ ، سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى : ٢/ ٢٥٣ .

(٢) روى ابن حبان أنه ولاه مكة بعد الفتح وهو ابن ثمان عشرة سنة . ينظر الثقات لابن حبان : ٣/ ٣٠٤ .

فَجعَل جَوَابَهُ احْتِجَاجًا [١].

وَقَالَ ابْنُ المدِينِيِّ [٢] : خَرَجَ يَوْمًا سُفْيَانُ بن عُيَيْنَةَ وَهُوَ ضَجِرٌ ، فَقَالَ لمن بِبَابِهِ : أَلَيْسَ مِنَ الشَّقَاءِ أَنْ أَكُونَ جَالَسْتُ ضَمْرَةَ بنَ سَعِيدٍ ، وجَالَسَ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيّ ، وجَالَسْتُ عَبْدَ الله بْن دِينَارٍ ، وجَالَسَ ابْنَ عُمَرَ ، وجَالَسْتُ الزُّهْرِيَّ ، وجَالَسَ أنسًا [٣/ ب] ، حَتَّى عدَّ جمَاعَةً مِنْ هَؤُلَاءِ ، ثُمَّ أَنَا أُجَالِسُكم !

فَقَالَ لَهُ صَبِيٌّ حَدَثٌ فى المَجْلِس : أَتُنْصِفُ يَا أَبَا مُحَمَّد ؟ قَالَ : إِن شَاءَ اللهُ، فقَالَ : وَالله لَشَقَاءُ مَنْ جَالَسَ أَصْحَابَ رَسُولِ الله ﷺ ، ورَضِى عَنْهُم ، بِكَ أَشَدُّ مِن شَقَائِكَ بِنَا ، فَأَطْرَقَ وأَبْلَسَ ، وتَمَثَّلَ شِعْرَ أَبِى نُوَاسٍ [٣] :

خَلِّ جَنْبَيْكَ لِلرَامِ وَامْضِ عَنهُ بِسَلَامِ

مُتْ بِدَاءِ الصَّمْتِ خَيرٌ لَكَ مِنْ دَاءِ الكَلَامِ

قَالَ : فَتَفَرَّقَ النَّاسُ وَهُم يَتَحَدَّثُونَ بِرَجَاحَةِ الغُلَامِ ، وقِيل : هُو كَانَ يَحْيَى ابْنَ أَكْثَم ، فَقَالَ سُفْيَان : هَذَا يَصْلُحُ لِهَؤُلَاءِ [٤] ، ولَيَكُونَنَّ لَهُ شَأْنٌ [٥] .

---

(١)كذا الرواية فى البصائر والذخائر : ١/ ٨١ ، كنز الكتاب ومنتخب الآداب : ١/ ١٠٧ ، وفى رواية أخرى أنه كان ابن عشرين سنة ، فلما استصغره أهل البصرة قال : « أَنَا أكبرُ من عَتَّاب بن أسيد الذى وَجه بِهِ النبى قَاضِيا على أهل مَكَّة يَوْم الْفَتْح ... » المقصد الارشد :٣/ ٩١ ، وينظر : تهذيب الكمال : ١٩/ ٢٨٢ .

(٢) هو أبو الحسن على بن عبد الله بن جعفر البصرى المعروف بابن المدينى ، أمير المؤمنين فى الحديث سمع من عبد الله بن دينار وسفيان بن عيينة ، وكان سفيان يلقبه بحية الوادى لحدة ذاكرته ، وكان يقول فيه : « وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَتَعَلَّمُ مِنْهُ أَكْثَرَ مِمَّا يَتَعَلَّمُ مِنِّى » ، وهو من شيوخ البخارى وقد قال : « ما استصغرت نفسى عند أحد إلا عند على بن المدينى » ، مات سنة ثمان وسبعين ومائة . سير أعلام النبلاء ١١/ ٤١ وما بعدها .

(٣) من مجزوء الرمل لأبى نواس فى ديوانه : ٢/ ١٤٦ .

(٤) يعنى بهؤلاء أى السلطان . ينظر تاريخ دمشق : ٦٤/ ٦٧ .

(٥) ينظر الرواية فى : تاريخ دمشق : ٦٤/ ٦٧ ،كنز الكتاب ومنتخب الآداب : ١/ ١٠٨ ، تهذيب الكمال : ٣١/ ٢١٨ ، المقصد الأرشد : ٣/ ٩٠ .

قَالَ [١] : وَقَدْ وَلَّى رَسُولُ الله ﷺ مُعَاذَ بنَ جَبَلٍ اليَمَنَ ، وهُو دُونَ هذِه السِّنِّ، وبَعَثَهُ مُعَلِّمًا ومُفَقِّهًا فِى الدِّينِ [٢] .

قَالَ : وَوَلَّى رَسُولُ الله ﷺ أُسَامَةَ بنَ زَيْدٍ الجيشَ عِنْدَ وَفَاتِه ، وَأَمَرَهُ بِالخُرُوجِ، فَخَرَجَ إِلَى بَابِ المدِينَةِ ، وفِى الجيشِ كُبَرَاءُ الصَّحَابَةِ وجِلَّتُهُم ، مِنْهُم أَبُو بَكْرٍ وعُمَرُ – رِضْوَانُ الله عَلَيْهِم أَجْمَعِين – ولِأُسَامَةَ أَقَلُّ مِن عِشْرِينَ سَنَةً ، قَالَ الحسَنُ بن أُسَامَةَ : إِنَّه تُوُفِّى رَسُولُ الله ﷺ ولِأُسَامَةَ تِسْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

عَنِ الشَّعْبِى قَالَ : دَخَلَ مُحَمَّدُ بنُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عَلَى عَبْدِ الملِكِ ، فَقَالَ لَهُ : ابْنُ كَمْ كَانَ أَبُوكَ حِينَ عَقَدَ لَه النَّبِىُّ ﷺ عَلَى الجيْشِ ؟ فَقَالَ : ابنُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَة، قَالَ : فَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ يَعِيبُونَنَا حِينَ عَقَدْنَا للوَلِيدِ ، وهُو ابنُ بِضْعٍ وعِشْرِينَ[٣] .

وعَنْ عُرْوَةَ [٤] عَنْ أُسَامَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَهُ إِلَى أُبْنَى ، وَقَالَ لَهُ : ائْتِهَا صَبَاحًا ثُمَّ حَرِّقْ [٥] .

وبَعْضُ أَصْحَابِ الحَدِيثِ يَقُولُ : أُبْلَى ، وَأَمَّا الأَصَحُّ فَأُبْنَى ، وهِى بِنَاحِيَةِ البَلْقَاءِ [٦] ، الموضِعُ الذِى بَعَثَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ بِأَبِيهِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ وجَعْفَرِ بنِ

(١) ربما يكون القول للمؤلف أو ليحيى بن أكثم فى استكمال الرد حين استصغره بعض أهل البصرة .

(٢) ينظر : تاريخ دمشق : ٦٤/ ٦٩ ، المقصد الأرشد : ٣/ ٩١ .

(٣) كذا الرواية عن الشعبى فى أنساب الأشراف : ٧/ ٢١٨ .

(٤) المقصود بعروة هو عروة بن الزبير ، ينظر : تاريخ دمشق : ٢/ ٤٧ .

(٥) كذا الرواية فى مسند أحمد : ٣٦/ ١١٩ ، وينظر : معجم ما استعجم : ١/ ١٠١ ، تاريخ دمشق : ٢/ ٤٧ .

(٦) أُبْنَى قرية بمؤْتَة بالشام من جهة البلقاء ، وتحديدا هى موضع من فلسطين بين عسقلان والرملة . ينظر : الأمكنة والمياة والجبال للإسكندرى : ١/ ١٢٠ ، مرقاة المفاتيح : ٧/ ٤٥٦ .

أَبِى طَالِبٍ وعَبْدِ الله بنِ رَوَاحَةَ [١] ، وَأَمَّا أُبْلَى فَبِنَاحِيَةِ نَجْدٍ [٢] ، قَالَ كُثَيِّر [٣] :

أُحِبُّكِ مَا دَامَتْ بِنَجدٍ وَشيجَةٌ وَمَا سُكِنَتْ أُبْلَى بِهِ وَتِعارُ

وقال الشَّمَّاخُ بنُ ضِرَارٍ أَيْضًا [٤] :

فَباتَت بِأُبلى لَيلَةً ثُمَّ لَيلَةً بِحَاذَةَ وَاجْتَابَتْ نَوًى عَنْ نَوَاهُما [٤/ أ]

وَهَذَا الحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّه كَانَ فِى أَوَّلِ الإِسْلَام ، ولأُسَامَةَ فِى هَذَا الوَقْتِ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً أَوْ نَحْوُهَا .

(١) يعنى غزوة مؤتة ، وقد استشهد الثلاثة بها . ينظر : تاريخ دمشق : ٢/ ١٤ .

(٢) ينظر : ما اتفق لفظه وافترق مسماه للحازمى : ٣٧ ، الأمكنة والمياة والجبال للإسكندرى : ١/ ٥٣ .

(٣) من الطويل فى ديوانه : ٤٢٧ ، وأُبْلَى وتِعَار جَبَلان بِنَجْد .

(٤) من الطويل فى ديوانه : ٣١٤ ، وحَاذَة: موضع بَيْنَه وبَيْنَ أَبْلَى لَيْلَة .

وَقَدْ رُوِىَ أَنَّ النَّبِىَّ ﷺ نَهَى عَنِ التَّحْرِيقِ بِالنَّارِ فِى آخِرِ أَيَّامِهِ ، فَدَلَّكَ هَذَا عَلَى أَنَّ حَدِيثَ أُسَامَةَ كَانَ قَبْلُ (١) .

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ – رَضِىَ الله عَنْهُ – أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ : لَا تُعَذِّبُوا بِعَذَابِ الله – عَزَّ وجَلَّ (٢) .

ولَمَّا أَسْلَمَ سَعْدُ بن مُعَاذٍ ، أَسْلَمَتْ بَنُو عَبْدِ الأَشْهَلِ كُلُّهَا بِإِسْلَامِهِ ، وكَانَ سَيِّدَهُم فَاتَّبَعُوه (٣) ، وَلَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً .

وَمِمَّنْ حَفِظَ الحَدِيثَ عَنْ النَّبى ﷺ وَسِنُّه دُونَ العَشْر سِنِينَ والعِشْرِينَ : الحَسَنُ والحُسَينُ أَبْنَاءُ (٤) عَلِىِّ بنِ أَبِى طَالِب – رَضِى اللهُ عَنْهُم –

---

(١) الذى نهى عنه النَّبى ﷺ هُو تَحْرِيق كل ذِى نَفْسٍ بِالنَّار ليس غير ، وأمَّا تفسير المؤلف للتحريق فى الحديث السابق على عمومه بأَنَّه فى أول الإسلام قبل أن يأتى التحريم فى آخر أيامه ﷺ ، فهذا يخالفه نهى الرسول ﷺ عن التحريق بعد وقعة بدر بشهر واحد حين أرادت زينب بنت رسول الله ﷺ اللحاق بأبيها فروَّعها هَبَّار بن الأَسْوَد ونافع بن عبد القيس ، فقال أبو هريرة : « بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ فِي بَعْثٍ ، فَقَالَ : إِنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَحْرِقُوهُمَا بالنَّارِ ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ حِينَ أَرَدْنَا الْخُرُوجَ : إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أَنْ تُحْرِقُوا فُلَانًا وَفُلَانًا بِالنَّارِ ، وَإِنَّ النَّارَ لَا يُعَذِّبُ بِهَا إِلَّا الله تَعَالَى، فَإِنْ وَجَدْتُمُوهُمَا فَاقْتُلُوهُمَا » مسند أحمد : ١٤/ ١٧٢ ، وفى هذا دليل على عدم صحة استدلال المؤلف بحديث أسامة فيما ذهب إليه ، وإنما المراد بالتحريق فى حديث أسامة هو حرق الزروع والأشجار والديار ، وهذا مشروط بعدم التيقن من الفتح وصيرورة البلاد إلى ديار الإسلام ترويعا للأعداء ، وإضرارًا بمنافعهم ، وبعث الرعب فى قلوبهم ، أما إذا تيقن من الغلبة فلا يجوز ذلك ؛ لأنه حينئذ يكون تخريبا وإتلافا لمال المسلمين . ينظر مرقاة المفاتيح : ٧/ ٤٥٧ .

(٢) كذا بسند ابن عباس عن رسول الله ﷺ فى : مسند أحمد : ٣/ ٣٨٧ ، السنن الكبرى للنسائى : ٣/ ٤٤١ ، المستدرك على الصحيحين للحاكم : ٣/ ٦٢٠ ، السنن الكبرى للبيهقى : ٨/ ٣٥١ .

(٣) ينظر : سير أعلام النبلاء : ١/ ٢٨٠ .

(٤) [أبناء] كذا فى الأصل ، ولعله بناه على أنَّ التثنيةَ جَمْعٌ كذا قال سيبويه وغيره . ينظر الكتاب لسيبويه : ٣/ ٦٢٢ ، المقتضب : ٢/ ١٥٣ ، وقال بعضهم : أقل الجمع اثنان . ينظر : المزهر فى علوم اللغة : ١/ ٤٦ ، خزانة الأدب للبغدادى : ٣/ ٢٩٦ .

فَأَمَّا الحَسَنُ ، فَزَعَمَ الكَلْبِيُّ [١] أَنَّه وُلِدَ سَنَةَ ثَلَاثٍ مِنَ الهجْرَةِ[٢] ، وتُوفِّ رَسُولُ الله ﷺ وَلَهُ ثَمانى سِنِينَ ، وقَالَ : حَفِظْتُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ تَعْلِيمَهُ إِيَّاىَ الصَّلَواتِ الخَمْس [٣] ، وقَوْلَه : « قُلْ إِذَا صَلَّيْتَ الوِتْرَ ، اللَّهُم اهْدِنِى فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وعَافِنَى فِيمَنْ عَافَيْتَ ، وتَوَلَّنِى فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ ، وقِنِى شَرَّ مَا قَضَيْتَ ، إِنَّه لَا يَذِلُّ مَنْ [وَالَيْتَ] ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وتَعَالَيْتَ »[٤] .

وَوُلِدَ الحسَينُ – رَضِىَ اللهُ عَنْه – سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الهجْرَةِ [٥] ، وتُوُفِّىَ رَسُولُ الله ﷺ ولَهُ سَبْعُ سِنِينَ . وعَنْ أَبِى الحَوْرَاء السَّعْدِىّ[٦] قَالَ : قُلْتُ للحُسَينِ – رَضِى الله عَنْهُ – مَا تَذْكُرُ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ ؟ قالَ : « أُتِىَ بِتَمْرٍ مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ، فَأَخَذْتُ مِنْهُ تَمْرَةً ، فَجَعَلْتُ أَلُوكُهَا ، فَأَخَذَهَا مِن فِىَّ وأَلْقَاهَا ، وقَالَ : إِنَّ آلَ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَهُمُ الصَّدَقَةَ »[٧] .

---

(١) هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى النسابة الأخبارى الحافظ الكوفى ، الشيعى ، وانتقل إلى بغداد وحدث بها ، وهو متروك الحديث غير موثوق به ، له كثير من التصانيف ، توفى سنة ست ومائتين . ينظر ترجمته فى الوافى بالوفيات : ٢٧/ ٢١٢ ، سير أعلام النبلاء : ١٠/ ١٠١ .

(٢) ينظر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ١٧٩ ، أسد الغابة : ٢/ ١٤ ، الوافى بالوفيات : ١٢/ ٦٧ .

(٣) ينظر : المعجم الكبير للطبرانى : ٣/ ٧٥ .

(٤) فى الأصل [وليت] ، والرواية عن الحسن [وَالَيْتَ] كما فى المتن ينظر : مسند أحمد : ٣/ ٢٤٥ ، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء : ٨/ ٢٦٤ .

(٥) ينظر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ١٨٤ ، أسد الغابة : ٢/ ٢٥ .

(٦) هو أبو الحوراء ربيعة بن شيبان السعدى البصرىّ ، روى عن الحسن والحسين ، وهو عند أهل الحديث من الثقات ، روى عنه بريد بن أبى مريم ، وثابت بن عمارة الحنفى وأبو يزيد الزراد . ينظر ترجمته : تهذيب الكمال فى أسماء الرجال : ٩/ ١١٧ .

(٧) الحديث باختلاف يسير فى ألفاظ الرواية عن أبى الحوراء عن الحسن لا الحسين فى : مسند أحمد : ٣/ ٢٥٢ ، تاريخ دمشق : ١٣/ ١٦٤ ، سير أعلام النبلاء : ٣/ ٢٦٤ ، وفى رواية أبى هريرة « الحسن أو الحسين » . مسند أحمد : ١٥/ ١٥٢ .

ورَوَى أَبُو عُبَيْدٍ[١] فى كِتَابِ الأَمْوَالِ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَتَبَ كِتَابًا لِثَقِيفٍ، وكَانَ فى آخِرِه « شَهِدَ عَلِيٌّ بن أَبِى طَالِبٍ والحَسَنُ والحُسَينُ – رِضْوَانُ الله عَلَيْهِم »[٢] .

أَفَلَا تَرَى أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَيْفَ أَمَرَ أَنْ تُكْتَبَ شَهَادَتُهُما فِى هَذِه السِّنِّ ؟ .

ومِنْهُم أَبُو مُحَمَّدٍ الفَضْلُ بنُ العَبَّاسِ [٣] – رَضِى الله عَنْه – رَوَى أَحَادِيثَ كَثِيرَةً، وقُبِضَ النَّبِىُّ ﷺ ولَه ثَمَانِى عَشْرَةَ سَنَةً ، وكَانَ يُسَمَّى الرِّدْفَ ؛ لأنَّ النَّبِىَّ ﷺ أَرْدَفَهُ لما دَفَعَ مِنْ مُزْدَلِفَةَ إِلَى مِنَى [٤]، وكَانَ مِمَّنْ غَسَّلَ رَسُولَ الله ﷺ ، ونَزَلَ فِى حُفْرَتِه – عَلَيهِ الصَّلَاةُ والسَّلَام – وقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ : « يَا غُلَام ، احْفَظْ أَمْرَ الله يَحْفَظْكَ ، واعْلَمْ أنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ [٤/ ب] لِيُصِيبَكَ ، ومَا أَصَابَكَ لم يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، فَإِنَّ الخَلَائِقَ جَمِيعًا لَو أَجْمَعُوا عَلَى إِعْطَائِكَ شَيْئًا لَمْ يُقْدَرْ لَكَ ، مَا قَدَرُوا عَلَيْه ، ولَو أَطْبَقُوا عَلَى مَنْعِكَ شَيْئًا قَدْ قُدِرَ لَكَ ، لَمْ يَسْتَطِيعُوه »[٥] .

---

(١) فى الأصل [عبيدة] وهو تحريف .

(٢) كتاب الأموال لأبى عبيد : ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، وعلق أبو عبيد فقال :« وفى هذا الحديث من الفقه : إثباته ﷺ شهادة الحسن والحسين ، وقد كان يروى مثل هذا عن بعض التابعين : أنَّ شهادةَ الصبيانِ تُكْتَب، ويُسْتَنْسَبُون ، فَيُسْتَحْسَنُ ذلك » .

(٣) هو أبو محمد الفضل بن العباس بن عبد المطلب ، وهو أسنُّ ولدِ العَبَّاس عَمّ رسول الله ﷺ ، ومات فى خلافة عمر – رضى الله عنه – فى طاعون عَمَواس بناحية الأردن سنة ثمان عشرة من الهجرة . ينظر : تاريخ دمشق : ٤٨/ ٣٢٨ .

(٤) ينظر : شرح معانى الآثار للطحاوى :٢/ ٢٢٥ ، تاريخ دمشق : ٤٨/ ٣٢٨ .

(٥) رواية الحديث هنا بالمعنى ، وقد جاءت روايات متعددة للحديث عن ابن عباس باختلافات فى بعض وزيادات لم تذكرها رواية المتن . ينظر : المعجم الكبير للطبرانى : ١١/ ١٢٣ ، المستدرك على الصحيحين للحاكم : ٣/ ٦٢٤ .

وَقَدْ رُوِى أنَّ النَّبِىَّ ﷺ قَالَ هَذَا الكَلَام لعَبْدِ الله بنِ عَبَّاسٍ - رَضِى الله عَنْهُ- وهُو حَبْرُ هَذِه الأُمَّة ورَبَّانِيُّهَا ، وَأَكْثَرُ النَّاسِ عِلْمًا بِالفِقْهِ ، والقُرْآنِ ، والشِّعْرِ، والأَخْبَارِ ، وكَانَ يَتَقَدَّمُ النَّاسَ فى مَجْلِسِ أَبِى بَكرٍ وعُمَرَ وعُثْمَانَ ، ووَلَّاهُ عَلَى البَصْرَةِ - رَحِمَهُم الله جَمِيعًا - وكَانَ يُسَمَّى البَحْرَ لاتِّسَاعِ عِلْمِه .

وعَنْ مُجَاهِد قَالَ : كَانَ عَبْدُ الله بنُ عَبَّاسٍ يُسَمَّى البَحْرَ لِكَثْرَةِ عِلْمِه [١]، وفِى تَسْمِيَتِه الحَبْرَ يقولُ عَبْدُ الله بنُ بُرَيْد[٢] الهِلَالِىّ - وهِلَالٌ أَخْوَالُ عَبْدِ الله - [٣] :

ونَحْنُ وَلَدْنَا الفَضْلَ والحَبْرَ بَعْدَهُ عَنَيْتُ أَبَا العَبَّاسِ ذَا الفَضْلِ والنَّدَى

وَيُرْوَى : (الرِّدْفَ والحَبْرَ بَعْدَهُ) .

وَهَذِه أَبْيَاتٌ قَالَهَا ، ذَلِكَ لِأَنَّ أُمَّ الفَضْلِ ، وعَبْدِ الله ، وقُثَمَ ، وعَبْدِ الرَّحْمَنِ، ومَعْبَدٍ ، وعُبَيْدِ الله ، هِى لُبَابَةُ بِنْتُ الحَارِث ، وتُكْنَى أُمّ الفَضْلِ الهِلَالِيَّة ، وهِى أُخْتُ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الحَارِثِ زَوْج النَّبِىِّ ﷺ[٤] ، وعَبْدُ الله بنُ بُرَيْدٍ الهِلَالِىّ الذِى

(١) الجرح والتعديل لابن أبى حاتم : ٥/ ١١٦ ، تاريخ دمشق لابن عساكر : ٧٣/ ١٩٣ ، سير أعلام النبلاء : ٣/ ٣٥٠ .

(٢) فى الأصل [زيد] ، ، وفى أنساب الأشراف للبلاذرى : ٤/ ٣١ [بُرَيْد] ، وفى الوافى بالوفيات : ١٧/ ١٢٢ [يزيد] وكذا فى الإصابة فى تمييز الصحابة : ٥/ ٨٨ ، ونص أيضا على تحقيق الاسم مصغرًا بباء موحدة وراء مهملة ، وفى تجريد أسماء الصحابة : ١/ ٣٠٠ [بريك] ، والصواب ما أثبته فى المتن كما فى أنساب الأشراف وفى معجم الشعراء : ١٥٤ .

(٣) من الطويل له فى أنساب الأشراف للبلاذرى : ٤/ ٣٢ ، الوافى بالوفيات : ١٧/ ١٢٢ .

(٤) ينظر : تاريخ دمشق : ٣٣/ ٣٨٤ ، سير أعلام النبلاء : ٢/ ٨٤ ، الأعلام للزركلى : ٥/ ٢٣٩ .

يَقُولُ حِينَ ذَكَرَ ذَلِكَ [١] :

مَـا وَلَـدَتْ نَجِيبَـةٌ مِـن فَحْـلِ بِجَبَـــلٍ نَعْلَمُـــهُ أَوْسَـــهْلِ
كَسِـــتَّةٍ مِـــنْ بَطْـــنِ أُمِّ الفَضْـــلِ أَكْـــرِمْ بِهَـــا مِـــنْ كَهْلَـــةٍ وَكَهْـــلِ
عَـمِّ النَّبِـيِّ المصْـطَفَى ذِى الفَضْـلِ وخَـــاتَمِ الرُّسْـــلِ وخَـــيْرِ الرُّسْـــلِ

فَكَانَ يُقَالُ : مَـنْ أَرَادَ الجَمَالَ والفِقْـهَ والسَّـخَاءَ ؛ فَلْيَـأْتِ دَارَ العَبَّاسِ – رَضِىَ الله عَنْهُ – الجَمَـالُ للفَضْلِ ، والفِقْهُ لِعَبْدِ الله ، والسَّخَاءُ لعُبَيْدِ الله – رَحِمَهُم الله [٢] .

وَيُقَالُ لَمْ يُرَ إِخْـوَةٌ أَبْعَـدَ قُبُـورًا مِـنْ بَنِى العَبَّاسِ هَـؤُلَاءِ مِـنْ أُمِّ الفَضْـلِ ، قُتِلَ الفَضْـلُ بِـاليَرْمُوك شَـهِيدًا ، وعَبْـدُ الله مَـاتَ بِالطَّـائِفِ ، وعُبَيْـدُ الله بِـاليَمَنِ ، ومَعْبَـدٌ بِإِفْرِيقِيَّة ، وقُثَم بِسَمَرْقَنْد ، وعَبْدُ الرَّحْمَنِ بِمِصْرَ [٣] ، قَالَ شَاعِرُهُم يَذْكُرُ ذَلِكَ [٤] :

لَا يُبْعِدُ الله إِخْوَانًـا لَنَـا سَـلَفُوا بَانُوا لِوَقْتِ مَنَايَـاهُمْ فَقَـدْ بَعُـدُوا
مَيْتًا بِمِصْرَ وَمَيْتًا بِالحِجَازِ وَمَيْـ ـتًـا بِالشَّـآمِ مَنَايَـا بَيْـنَهُم بَـدَدُ
كَانَـتْ لَهُـمْ هِمَـمٌ فَـرَّقْنَ بَيْـنَهُمُ إِذَا القَعَادِيـدُ عَـنْ أَمْثَالِهَـا قَعَـدُوا

(١) من الرجز له فى : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ٩٣٥ ، تاريخ دمشق : ٣٣/ ٣٨٤ ، سير أعلام النبلاء : ٢/ ٨٥ ، الوافى بالوفيات : ٢٤/ ٢٩٧ .

(٢) ينظر : الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ٤٦٠ ، الوافى بالوفيات : ١٩/ ٢٥٠ .

(٣) ينظر : المحبر لابن حبيب : ١٠٧ ، تاريخ دمشق : ٧٣/ ١٧٨ ، وفيات الأعيان : ٣/ ٦٤ .

(٤) الأبيات من البسيط منسوبة لأم معدان الأنصارية فى أمالى القالى : ٢/ ٩٥ ، التذكرة الحمدونية : ٤/ ٢٥٦، المنازل والديار لأسامة بن منقذ : ٤١٨ ، ٤١٩ . وجاءت الأبيات فى المصادر السابقة باختلاف فى رواية بعض الألفاظ ، وكذا فى ترتيب الأبيات باستثناء البيت الرابع والبيت الأخير ، فلم ترد روايتهما فيما سبق من المصادر ، ورويت الأبيات (الثانى والثالث ، والخامس والسادس) منسوبة إلى امرأة العباس ترثى أبناءها فى الزهرة لابن داود الظاهرى : ٥٤٣ ، زهر الآداب : ٤/ ١٤٥ .

[٥/ أ] يَزِينُهُم قَـرْعُ أَبْوَابِ المِلِـمِّ بِـلَا ... رَيْبٍ فِعَالٌ بِهَا تُبْنَى العُلَا جُدَدُ

فِعْلُ الجَمِيلِ وَتَفْرِيجُ الجَلِيلِ ... ـطَاءُ الجَزِيـلِ إِذَا لَمْ يُعْطِـه أَحَـدُ

رَعَـوْا مِـنَ الـمُلْكِ أَسْبَابًا إِلَى ... حَتَّى إِذَا كَمَلَتْ أَظْمَاؤُهُـم وَرَدُوا

فَهُمْ رَهَائِنُ بِالآفَاقِ لَيْسَ لَهُـمْ ... مِـنَ العَوَائِـدِ إِلَّا هَامُهُـا العَـرِدُ

وَشَبِيهٌ بِهَذَا قَوْلُ مَطْرُودٍ الخُزَاعِيِّ فِي وَلَدِ عَبْدِ مَنَافٍ [١] :

إِنَّ الـــمُغِيرَاتِ وَأَبْنَـــاءَهُمْ ... لَخَـــيْرُ أَحْيَـــاءٍ وَأَمْـــوَاتِ

هُـمْ سَـادَةُ النَّـاسِ إِذَا حَصَّـلُوا ... وَنَسْـــلُ سَـــادَاتٍ لِسَـــادَاتِ

مَيْـتٌ بِرَدْمَـانَ وَمَيْـتٌ بِسَلْـ ... ـمَـــانَ وَمَيْتَـــانِ بِغَـــزَّاتِ

قَـدْ شَـتَّتَ الجُـودُ وَبَـذْلُ اللِّقَـا ... جَمْعَهُـــمُ يَـــا خَـــيْرَ أَشْـــتَاتِ

قَوْلُـه : (إِنَّ المغِيرَاتِ) ؛ لأَنَّ اسْـمَ عَبْـدِ مَنَـافٍ المغِيرَةُ [٢] ، وَعَبْـدُ مَنَـافٍ لَقَبٌ .

وَقَـالَ بَعْـضُ المحَـدِّثِينَ لِـمَنْ عِنْـدَه مِـنْ أَصْـحَابِ الحَدِيثِ : أَتَعْرِفُـونَ فِي الصَّحَابَةِ رَجُـلًا يُقَـالُ لَـهُ : أَسَـدُ بـن عَبْـدِ مَنَـاف بـن شَـيْبَةَ بـن عَمْـرِو بـن المغِيـرَة بن زَيْدٍ؟

قَالُوا : لَا .

قَالَ : فَإِنَّه هَاشِمِيٌّ .

(١) الأبيات من السريع منسوبة إليه فى : أنساب الأشراف للبلاذرى : ١/ ٦٢ ، معجم الشعراء : ٣٣٣ ، المنمق فى أخبار قريش : ٤٥ ، طبقات الشافعية : ١٠/ ١٢٢ .

(٢) ينظر : طبقات الشافعية : ١٠/ ١٢٢ .

فَمَا عَرَفُوه حَتَّى قَالَ لَهُم : هُوَ عَلِيُّ بن أَبِى طَالِبٍ ، سَمَّتْهُ أُمُّهُ فَاطِمَة بِنْت أَسَدِ بن هَاشِم أَسَدًا بِاسْمِ أَبِيهَا ، والحَيْدَرَةُ مِنْ أَسْمَاءِ الأَسَدِ ، وعَبْدُ مَنَافٍ اسْمُ أَبِى طَالِبٍ ، وشَيْبَة اسْمُ عَبْدِ المطَّلِبِ ، وعَمْرٌو اسْمُ هَاشِمٍ ، والمغِيرَةُ اسْمُ عَبْدِ مَنَافٍ ، وزَيْدٌ اسْمُ قُصَىّ [١] .

عَنِ الأَعْمَشِ [٢] عَنْ مَسْرُوقٍ[٣] أَنَّه قَالَ : « كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ ، قُلْتُ : أَجْمَلُ النَّاسِ ، فَإِذَا تَكَلَّمَ ، قُلْتُ : أَفْصَحُ النَّاسِ ، وإِذَا تَحَدَّثَ ، قُلْتُ : أَعْلَمُ النَّاسِ »[٤] .

قَالَ أَبُو عَمْرِو بن العَلَاءِ : [٥]« نَظَرَ الحُطَيْئَةُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ فى مَجْلِس عُمَرَ عَالِيًا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الذِى فَرَعَ النَّاسَ بِعِلْمِه ، ونَزَلَ عَنْهُم بِسِنِّه ؟ قَالُوا :

---

(١) ينظر الخبر فى : الأزمنة والأمكنة للمرزوقى : ٢/ ٢٨٠ ، معجم الأدباء : ٣/ ١٤١٦ ، الوافى بالوفيات : ١٦/ ٧٧ .

(٢) هو أبو محمد سليمان بن مهران الأسدى ولاء ، المعروف بالأعمش ، أصله من بلاد الرَّى ، ومنشأه ووفاته فى الكوفة ، شيخ المقرئين والمحدثين فى زمانه ، رأى أنس بن مالك وحكى عنه ، كان يضن بالعلم على غير أهله ، ويقول : « لا تَنْثُروا اللّؤْلُؤَ تَحْتَ أَظْلَافِ الخَنَازِير » ، ولم يُرَ السلاطين والأغنياء أحقر منهم فى مجلسه مع شدة حاجته وفقره ، توفى سنة سبع وأربعين ومائة من الهجرة . ينظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء : ٦/ ٢٢٦ ، الأعلام : ٣/ ١٣٥ .

(٣) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الوادِعِىّ الهَمَدَانِىّ قدم المدينة فى أيام أبى بكر ، وسكن الكوفة ، حدث عن أُبَىّ بن كعب ، وعُمَر ، وأبى بكر وجمع من الصحابة – رضوان الله عليهم أجمعين – وحدَّثَ عنه الشعبى ويحيى بن وثاب وأبو الضحى وغيرهم من التابعين ، توفى سنة ثلاث وستين من الهجرة . ينظر : سير أعلام النبلاء : ٤/ ٦٣ ، الأعلام : ٧/ ٢١٥

(٤) أنساب الأشراف للبلاذرى : ٤/ ٣٦ ، كنز الكتاب ومنتخب الآداب : ١/ ١١٤ ، سير أعلام النبلاء : ٣/ ٣٥١ ، وفى الإسناد (أَبُوالضُّحَى) بين الأعمش ومسروق .

(٥) الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ٤٢٥ ، تاريخ دمشق : ٧٣/ ٢٠٦ ، كنز الكتاب ومنتخب الآداب : ١/ ١١٣ .

عَبْدُ الله بن عَبَّاسٍ ، فَقَالَ [١] :

الـمَرْءُ يَـبْلَى وَيَبْقَـى الكَلْـمُ سَـائِرُهُ وَقَـدْ يُـلَامُ الفَتَـى يَوْمًـا وَلَمْ يُـلِمِ

إِنِّـى وَجَـدْتُ بَيَـانَ الـمَرْءِ نَافِلَـةً تُهْدَى لَـهُ وَوَجَـدْتُ العِـىَّ كَالصَّـمَمِ »

وفيه يقول حسان [٢] :

إِذَا قَـالَ لَمْ يَـتْرُكْ مَقَـالًا لِقَائِـلٍ بِمُلْتَقَطَاتٍ لَا تَرَى بَيْنَها فَصْـلَا

كَفَى وَشَفَى مَا فِى النُّفُوسِ فَلَـمْ لِـذِى إِرْبَـةٍ فِى القَـوْلِ جِـدًّا وَلَا [٥/ ب]

سَـمَوتَ إِلَى العَلْيَـا بِغَـيرِ مَشَـقَّةٍ فَنِلْتَ ذُرَاهَـا لا دَنِيًّا وَلَا وَغْـلَا

فَاحْتَذَى مُعَاوِيَةُ فِيه قَوْلَ حَسَّان ، فَقَالَ – وَقَدْ أُرَاهُ إِمَّا لَهُ وَإِمَّا مُتَمَثِّلًا [٣]:

إِذَا قَـالَ لَمْ يَـتْرُكْ مَقـالًا وَلَمْ يَقِـف لِعِـىٍّ وَلَمْ يَـثنِ اللِّسَـانَ عَـلى هُجـرِ

يُصَرِّفُ بِالقَولِ اللِّسَانَ كَمَا انتَحَى وَيَنظُـرُ فِي أَعطافِـهِ نَظَـرَ الصَّـقْرِ

وَعَنْ يُونُس بنِ عُبَيْد[٤] عَنِ الحَسَنِ قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى الحَجَّاجِ لِبَيْعَةِ الوَلِيدِ

(١) من البسيط له فى : الجليس الصالح : ٤/ ٩٠ ، الاستيعاب فى معرفة الأصحاب : ٤٢٥ ، تاريخ دمشق : ٧٣/ ٢٠٦ .

(٢) من الطويل فى ديوانه : ٣٣١ ، تحـ د/ وليد عرفات .

(٣) من الطويل ، والبيتان مختلف فى نسبتهما بين حسان بن ثابت ، ومعاوية بن أبى سفيان ، ينظر : ديوان حسان : ٤٨١ ، ديوان معاوية بن أبى سفيان : ٧٤ .

(٤) هو يونس بن عبيد بن دينار العبدى بالولاء ، البصرى ، رأى أنس بن مالك ، وهو من أصحاب الحسن البصرى ، وحدث عنه كما فى هذا الخبر ، وروى كذلك عن ابن سيرين وعطاء وعكرمة وغيرهم . وبلغ من صلاحه أن قال فيه أحد الغزاة : والله إنا كنا فى نحر العدو ، فإذا اشتد علينا الأمر قلنا : اللهم رب يونس فرج عنا ، فيفرج عنا ، توفى سنة تسع وثلاثين ومائة . ينظر : سير أعلام النبلاء : ٦/ ٢٨٨ ، الأعلام : ٨/ ٢٦٢ .

، فَقَالَ : مَا أَمَدُكَ ؟ فَقُلْتُ : سَنَتَانِ بَقِيَتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَر ، فَقَال : والله لَعَيْنُكَ أَبْعَدُ مِنْ أَمَدِكَ [١] .

فَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ عُثْمَان قُتِلَ ولِلحَسَنِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ سَنَة .

وَقَالَ مَالِك بن أَنَسٍ للشَّافِعِيِّ : قَدْ آنَ لَكَ أَنْ تُفْتِى . فَكَانَ يُفْتِى فى حَلْقَةِ مَالِك ، وَلَمْ يَبْلُغِ العِشْرِينَ [٢] .

وَقَالَ أَحْمَدُ بن حَنْبَل : يُقَالُ إِنَّ فِى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَة يُفَرِّجُ الله عَنِ النَّاسِ ، ويَكْشِفُ عَنْهُم البَلَاء ، وَيَبْعَثُ عَلَيْهِم رَحْمَةً ، فَكُنَّا نَرَى أَنَّ خِلَافَةَ عُمَرَ بنِ عَبْدِ العَزِيزِ مِنْ ذَلِك ، ولَسْنَا نَشُكُّ أَنَّ فِقْهَ الشَّافِعِيِّ فى هَذِه المائَةِ رَحْمَةٌ مِنَ الله – عَزَّ وَجَلَّ – للنَّاسِ [٣] .

وَقَدْ وَلَّى الصَّحَابَةُ – رَحِمَهُم اللّه – عَلَى الأَمْصَار جَمَاعَةً مِن الأَحْدَاثِ ، نَذْكُرُ فى هَذَا الموضع بَعْضَهُم :

وَلَّى عُثْمَانُ – رَحِمَهُ الله – [عَبْدَ الله] [٤] بن عَامِر بن كُرَيْزٍ البصرة ، وجَيَّش جَيْشَ خُرَاسَان ، وكَانَ ابْنَ خَالِهِ ، وسِنُّهُ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، ويُقَالُ أَكْثَرُ [٥] ، فَيُقَالُ

---

(١) ينظر : أخبار القضاة : ٢/ ٦ ، تهذيب الكمال : ٦/ ١٠٣ .

(٢) حكى الشافعى ذلك عن مالك فى مجلسه وهو دون الأربع عشرة سنة . ينظر : تاريخ دمشق : ٥١/ ٣٠٤ ، وجاء مثل هذا القول عن مسلم بن خالد الزَّنْجِى ، والشافعى ابن خمس عشرة سنة . ينظر : تاريخ دمشق : ٥١/ ٣٠٦ ، سير أعلام النبلاء : ١٠/ ١٥ .

(٣) ينظر : تاريخ دمشق : ٥١/ ٣٣٩ ، معجم الأدباء : ٦/ ٢٤١١ .

(٤) ما بين المعقوفين سقط من الأصل .

(٥) حكى ابن الأثير أن عبد الله بن عامر فى ذلك الحين كان ابن خمس وعشرين سنة. ينظر : الكامل فى التاريخ : ٢/ ٤٩١ ، ويدل على صغر سنه فى هذا الوقت قول بعض أهل البصرة فى شكايتهم أبا موسى لعثمان – رضى الله عنهما – « وَإِذَا أَمَّرْتَ عَلَيْنَا صَغِيرًا كَانَ فِيهِ عِوَضٌ مِنْهُ... » تاريخ الرسل والملوك : ٤/ ٢٦٥ .

إِنَّه قَدِمَهَا وَلَهُ ذُؤَابَةٌ ، وَحَصِرَ لَمَّا رَقِىَ المِنْبَرَ [١] ، وعَزَلَ بِه أَبَا مُوسَى الأَشْعَرِى .

وَعَنْ أَبِى بَكْرٍ الهُذَلِيِّ [٢] قَالَ : لَمَّا بَلَغَ أَبَا مُوسَى أَمْرُ ابْنِ عَامِرٍ ، خَطَبَ النَّاسَ فقَالَ : سَيَقْدُمُ عَلَيْكُم غُلَامٌ خَرَّاكٌ وَلَّاكٌ ، يريد (خَرَّاجٌ ولَّاجٌ) ؛ ولَكِنَّهَا مِنْ لُغَتِهِم يَمَانِيَّة ، يَجْعَلُونَ الجِيمَ بَيْنَ الكَافِ والقَافَ [٣] ، خَرَّاجٌ ولَّاجٌ كَرِيمُ الجَدَّاتِ والعَمَّاتِ تَجْتَمِعُ لَهُ الجُنْدَان [٤] .

وَوَلَّى عَلِىٌّ بن أَبِى طَالِبٍ – رَضِىَ اللهُ عَنْهُ – مُحَمَّدَ بنَ أَبِى بَكْرٍ مِصْرَ ، وكَانَ رَأْسًا أَيَّامَ عُثْمَانَ – رَحِمَه الله – وَقُتِلَ بِمِصْرَ أَمِيرًا [٥] ، وسِنُّه بِضْعٌ وعِشْرُونَ .

وَوَلَّى أَبُو بَكْرٍ – رَضِى الله عَنْهُ – يَزِيدَ بن أَبِى سُفْيَانَ رُبْعَ الجَيْشِ بِالشَّامِ ، وكَانَ أَبُوهُ تَحْتَ رَايَتِهِ وَمِنْ جُنْدِهِ [٦] ، وَهُوَ حَدَثُ السِّنِّ .

وَوَلَّى عَبْدُ الله بن الزُّبَير ابْنَه حَمْزَةَ البَصْرَةَ بَعْدَ بُلُوغِهِ وكَانَ مُمَدَّحًا ، وفِيه

(١) له فى ذلك مقولة مشهورة حينما أُرْتِجَ عليه وهو على المنبر ، فروى الأصمعى : « أُرْتِجَ عَلَيْهِ يَوْمَ أَضْحَى بِالبَصْرَةِ، فَمَكَثَ سَاعَةً، ثُمَّ قَالَ: وَاللهِ لاَ أَجْمَعُ عَلَيْكُم عِيّاً وَلُؤْماً، مَنْ أَخَذَ شَاةً مِنَ السُّوْقِ، فَثَمَنُهَا عَلَىَّ » سير أعلام النبلاء : ٣/ ١٩ .

(٢) هو سُلْمَى بن عبد الله بن سُلْمى البصرى المحدث الأخبارى المعروف بأبى بكر الهذلى ، روى عن الحسن ، ومحمد بن سيرين ، وعكرمة ، وروى عنه : وكيع وأبو نعيم ، وضعفه أهل الحديث ، مات سنة تسع وخمسين ومائة . ينظر : الجرح والتعديل لابن أبى حاتم : ٤/ ٣١٣ ، الإكمال لابن ماكولا : ٤/ ٣٢٦ ، الضعفاء والمتروكون لابن الجوزى : ٢/ ١٢ ، الوافى بالوفيات : ١٥/ ٢٠٢ ، نور القبس : ٤٠ .

(٣) ينظر : تفصيل الحديث على نص الصولى فى ص ٢٣ .

(٤) ينظر : تاريخ الرسل والملوك : ٤/ ٢٦٦ .

(٥) ينظر : الثقات لابن حبان : ٣/ ٣٦٨ ، الإصابة فى تمييز الصحابة : ٦/ ١٥١ .

(٦) ينظر : الثقات لابن حبان : ٣/ ٤٤٣ ، تاريخ دمشق : ٦٥ / ٢٤٤ .

يَقُولُ مُوسَى الشَّهَوات [١] :

حمـزَةُ المُبْتَـاعُ بِالـمَالِ النَّـدَى ... ويَـرَى فِي بَيعِـه أَنْ قَـدْ غَـبَنْ

وَإِذَا أَعْطَـى عَطَـاءً مُفْضِـلًا ... ذَا إِخَـاءٍ لَمْ يُكـدِّرْهُ بَمَـنّ

[٦/ أ] وَإِذَا مَـا سَـنَةٌ مُجْحِفَـةٌ ... بَـرَتِ النَّـاسَ كَـبَرْيٍ بِالسَّـفَنْ

انْجَلَـتْ عَنْـهُ نَقِيًّـا لَوْنُـهُ ... لَمْ يُصِـبْ أَثْوَابَـهُ لَـوْنُ الـدَّرَنْ

وَكَانَتْ فِيهِ لُوْثَةٌ ، وَقَدْ حُكِيتْ عَنْهُ أَيَّامَ وُلِّيَ البَصْرَةَ أَعَاجِيبُ مِنَ الأَفَنِ والجُبْنِ وسُوءِ الرَّأْيِ [٢] .

وَمَنْ وُلِّيَ مِنَ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِين أَبُو عَبْدِ الله زُبَيْرُ بن المتَوَكِّلِ بنِ المُعْتَصِمِ بن الرَّشِيدِ ، المُعْتَزُّ بِالله – رَحِمَه الله تَعَالَى [٣] .

قَالَ أَبُو عُبَادَةَ البُحْتُرِيّ يَمْدَحُهُ [٤] :

لَقَـد حَمَـلَ المُعتَـزُّ أُمَّـةَ أَحمَـدٍ ... عَـلى سَـنَنٍ يَسْرِـى إِلى الحَـقِّ لاحِبُـهْ

مُـدَبِّرُ دُنْيَـا أَمْسَـكَتْ يَقَظَاتُـهُ ... بِآفَاقِهَـا القُصْـوَى وَمَـا طَـرَّ شَـارِبُهْ

وقَالَ فِى ذَلِكَ أَيْضًا [٥] :

---

(١) من الرمل ، والأبيات فى جمهرة نسب قريش وأخبارها : ٣٩ ، أنساب الأشراف : ٦/ ٤٣٥ .

(٢) ينظر : أنساب الأشراف : ٦/ ٤٣٤ ، ٤٣٥ .

(٣) ولد المعتز بالله سنة اثنتين وثلاثين ومائتين ، وبويع بالخلافة سنة اثنتين وخمسين ومائتين ، أى استخلف وهو ابن عشرين سنة . ينظر : تاريخ دمشق : ١٨/ ٣١٣ ، سير أعلام النبلاء : ١٢/ ٥٣٢ .

(٤) من الطويل فى ديوانه : ١/ ٢١٧ .

(٥) من البسيط ، والبيت الأول فى ديوانه : ٣/ ١٧٢٥ ، والثانى ليس فى ديوانه ، ولا فى أى من المصادر التى اطلعت عليها .

إِذَا بَـدَا وَجَـلَالُ الـمُلْكِ يَغْمُـرُهُ حَسِـبْتَهُ البَـدْرَ وَفَّى حُسْـنَهُ الكَمَـلُ

إِنْ تَلْقَـهُ حَـدَثًا فِى السِّـنِّ مُقْتَـبِلًا فَإِنَّـه نَصَـفٌ فِى الـرَّأْيِ مُكْتَهِـلُ

قَالَ : وَمَنْ وُلِّىَ وَقَدْ جَازَ العِشْرِينَ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا أَبُو العَبَّاس عَبْدُ الله بن مُحَمَّد السَّفَّاح ، وهُوَ أَوَّلُ مَنْ مَلَكَ مِنْ بَنِى العَبَّاس ، وسِنُّهُ نَيِّفٌ وعِشْرُونَ [١] ، ومِنْهُم : الهَادِى [٢] ، والرَّشِيدُ [٣] ، والأَمِينُ [٤] ، والمُنْتَصِرُ [٥] ، والمُعْتَضِدُ [٦] .

قال : وَقَدْ وُلِّىَ العَهْدَ مِمَّنْ لَمْ يَبْلُغ جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ ، تَرَكْنَا ذِكْرَهُم ؛ لأَنَّ مِنْهُم مَنْ تَمَّ لَهُ ، وَمِنْهُم مَن لَمْ يَتِمَّ لَهُ الأَمْرُ .

وَمَنْ نَالَ الرِّيَاسَةَ وتَفَرَّدَ بالإِمَارَةِ وقَادَ الجُيُوشَ وهُو حَدَثٌ

قَالَ أَبُو الخَطَّابِ [٧] : وَلَّى الحَجَّاجُ مُحَمَّدَ بنَ القَاسِمِ بنِ مُحَمَّدِ بنِ الحَكَمِ

---

(١) كان مولد السفاح سنة أربع ومائة من الهجرة ، وبويع سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وتوفى سنة ست وثلاثين ومائة ، وهذا يعنى أنه بويع للخلافة وهو ابن ثمان عشرة سنة . ينظر تاريخ دمشق : ٣٢/ ٢٨٦ .

(٢) بويع موسى الهادى بن الخليفة محمد المهدى سنة تسع وستين ومائة من الهجرة ، وهو ابن أربع وعشرين سنة . ينظر : مروج الذهب : ٣/ ٢٦٩ .

(٣) ولى الرشيد الخلافة وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، وبويع فى سنة سبعين ومائة من الهجرة . ينظر : مروج الذهب : ٣/ ٢٧٩ .

(٤) بويع محمد الأمين بن هارون الرشيد سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة . ينظر : مروج الذهب : ٣/ ٣١٩ .

(٥) اسْتُخلف المنتصر بعد مقتل المتوكل وهو ابن خمس وعشرين سنة ، سنة سبع وأربعين ومائتين ، وكانت مدة خلافته ستة أشهر . ينظر مروج الذهب : ٤/ ١٠٥ .

(٦) بويع المعتضد بالله أبو العباس أحمد بن طلحة بعد مقتل عمه المعتمد على الله سنة تسع وسبعين ومائتين ، وهو ابن إحدى وثلاثين سنة . ينظر : مروج الذهب : ٤/ ١٨٤ .

(٧) كذا فى الأصل [أبو الخطاب] ، والرواية لأبى اليقظان فى : عيون الأخبار : ١/ ٢٢٩ ، البصائر والذخائر : ٥/ ٦٢ ، بهجة المجالس وأنس المجالس : ٢/ ٥١٧ .

قِتَالَ الأَكْرَادِ بِفَارِسٍ فَأَبَادَهُم ، وهُوَ جَعَلَ شِيرَازَ مَنْزِلًا لِوُلَاةِ فَارِسٍ ، ثُمَّ وَلَّاه السِّنْد والهِنْدَ ، فَأُحْمِدَ أَثَرُه ، واتَّسَعَتْ فُتُوحُه ، وسِنُّهُ سَبْعَ عَشْرَة سَنَةٍ ، قَالَ بَعْضُ مُدَّاحِه [١] :

إنَّ المَنَـابِرَ أَصْـبَحَتْ مُخْتَالَـةً ... بِمُحَمَّـدِ بـنِ القَاسِـمِ بـنِ مُحَمَّـدِ

قَـادَ الجُيـوشَ لِسَـبْعَ عَشْرَـةَ حِجَّـةً ... يَـا قُـرْبَ سَـوْرَةِ سُـؤْدُدٍ مِـنْ مَوْلِـدِ

وقَالَ زِيَادُ الأَعْجَم ، ويُرْوَى لِغَيْرِ زِيَاد [٢] :

قَادَ الجُيوشَ لِـخَمْسَ عَشرَـةَ حِجَّـةً ... وَلِداتُـهُ عَـنْ ذَاكَ فِى أَشْـغَالِ

قَعَـدَتْ بِهِـمْ أَهْـوَاؤُهُم وَسَـمَتْ بِـهِ ... هِمَـمُ المُلُـوكِ وَسَـؤْدُدُ الأَبْطَـالِ

وَكَانَ مُحَمَّدٌ هذَا مِنْ رِجَالِ الدَّهْرِ ، وهُو القَائِلُ لَـمَّا وُلِّى سُلَيْمَانُ بن عَبْدِ المَلِكِ الخِلَافَةَ فَوَلَّى يَزِيدَ بن المُهَلَّبِ العِرَاقَ ، وعَزَلَ مُحَمَّدَ بن القَاسِم ، وطَالَبَهُ وضَيَّقَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ [٣] : [٦/ ب]

أَتَنْسَى بَنُو مَرْوَانَ سَمْعِى وطَاعَتِى ... وَإِنِّـى عَـلَى مَـا نَـابَنِى لَصَـبُورُ

فَتَحْتُ لَهُمْ مَا بَيْنَ جُرْجَانَ بِالقَنَا ... إِلَى الصِّـينِ أُلْقَـى مَـرَّةً وَأُغِـيرُ

(١) من الكامل مختلف فى نسبة البيتين ، فهما ليزيد بن الحكم فى تاريخ دمشق : ٦٥/ ١٦٤ ، ولزياد الأعجم فى تاريخ اليعقوبى : ٢/ ٣٤٧ ، شعر زياد الأعجم (فيما نسب له ولغيره) : ١٠٨ ، ولحمزة ابن بيض فى الكامل فى التاريخ : ٤/ ٢٨٧ ، نهاية الأرب فى فنون الأدب : ٢١/ ١٨٦ .

(٢) من الكامل فى شعر زياد الأعجم (فيما نسب له ولغيره) : ١١٢ ، معجم الشعراء : ٤٠٤ ، ربيع الأبرار : ٣/ ٥٨ ، التذكرة الحمدونية : ٤/ ٥٧ ، ونسب للكميت فى الحماسة البصرية : ١/ ٤١٣ .

(٣) من الطويل له فى معجم الشعراء : ٤٠٣ .

وَمَـا كُنْـتُ فِـيهِمْ تَابِعًـا مُتَـأَخِّرًا وَلَا كَـانَ مِـنْ عَـكٍّ عَـلَيَّ أَمِـيرُ

وَمَا كُنْتُ لِلْعَبْدِ الـمَزُونِيِّ [١] تَابِعًـا فَيَـا لَـكَ دَهْـرًا بِـالكِرَامِ عَثُـورُ

وَقَدْ رَوَى المَدَائِنِيُّ [٢] وعَوَانَةُ [٣] أَنَّ يَزِيدَ بنَ المهَلَّبِ اسْتَخْلَفَ ابْنَه مَخْلَدًا عَلَى الكُوفَةِ ، فَلَمْ يُرَ أَضْبَط مِنْهُ ، ولَهُ عَشْرُ سِنِينَ ، وفِيه يَقُولُ حَمْزَةُ بن بِيْضٍ الحَنَفِي [٤] :

أَمَخْلَـدُ جِئْنَـاكَ فِي حَاجَـةٍ فَقُـلْ مَرْحَبًـا ، يَحْـبُ المَرْحَـبُ

وَلَا تَكِلَنَّـا إِلَى مَعْشَرٍ مَتَـى يَعِـدُوا عِـدَةً يَكْـذِبُوا

(١) الـمَزُونِيّ نسبة إلى مَزُون ، « والـمَزُونُ : اسمُ عُمَان ، فارسيةٌ معرَّبَةٌ ، كانت سَمَّتْهَا بها المجوسُ ، ثم سُمِّيَت بها الأَزْدُ ؛ لأنها دِيَارُهم ، قاله ابن خالويه » القرط على الكامل : ٧٨٥ ، وهم رهط المهلب بن أبى صفرة ، وكانوا يتبرمون من هذه التسمية ، ولذا كان الحجاج يَنْبِزُ المهلبَ بهذا الاسم ، فقال له يُعَنِّفُه : « إِنَّكَ لـمَزُونِيّ وابنُ مَزُونِي ... » فرد عليه المهلب « ... وإني لـمَزُونِيٌّ وابنُ مَزُونِيّ ، مَا أَنْكِرُ ذَلِكَ ، وإِنَّما مَزُونُ : عُمَانُ ، سَمَّتْهَا العَجَمُ بِذَلِكَ ، ولكنَّ الأميرَ – أَصْلَحَهُ اللهُ – مِنْ قبيلةٍ قَدِ ادَّعَتْ إِلَى حمير وعدةِ قبائلَ ، ومَا استقرَّ قَرَارُها بَعْدُ ... » أنساب الأشراف للبلاذري : ٧/ ٤٢٥ .

(٢) هو أبو الحسن على بن محمد بن عبد الله بن أبى سيف المدائنى الأخبارى ، نزل بغداد وصنف تصانيف كثيرة ، وسمع من عوانة بن الحكم وغيره ، مات سنة أربع وعشرين ومائتين . ينظر ترجمته فى: سير أعلام النبلاء :١٠/ ٤٠٠ ، الأعلام: ٤/ ٣٢٣ .

(٣) هو عوانة بن الحكم بن عياض بن وزر الكلبى ، الأخبارى النسابة الكوفى الضرير أحد الفصحاء ، روى عنه ابن هشام بن الكلبى وغيره ، وله كتاب « التاريخ » ، وكتاب « سير معاوية وبنى أمية » ، توفى سنة سبع وأربعين ومائة . ينظر ترجمته فى : سير أعلام النبلاء : ٧/ ٢٠١ ، الأعلام : ٥/ ٩٣ .

(٤) من المتقارب له فى : أنساب الأشراف : ٨/ ٢٩٤ ، تاريخ دمشق : ٥٧/ ١٦٨، ١٦٩ ، الوافى بالوفيات : ١٣/ ١١٣ ، والأبيات (٤ ، ٥ ، ٦) عروضها مقبوضة بوزن (فَعُولُ) ، والعروض فى بقية الأبيات محذوفة بوزن (فعو) !

فَإِنَّـــكَ فى الفَـــرْعِ مـــن أسْرَةٍ لَهُـــمْ خَضَـــعَ الشَّرْـــقُ والـــمَغْرِبُ

وَفِى أَدَبٍ مِـــنْهُمُ مَـــا نَشَـــأْتَ فَـــنِعْمَ لعَمْـــرُكَ مَـــا أَدَّبُـــوا

بَلَغْـتَ لِعَشْرٍ ـ مَضَـتْ مـن سِنِيـ (م) ـكَ مَـا يَبْلُـغُ السَّـيِّدُ الأَشْـيَبُ

فَهَمُّـــكَ فِيهَـــا جِسَـــامُ الأُمُـــورِ وَهَـــمُّ لِـــدَاتِكَ أن يَلْعَبُـــوا

وَجُـــدْتَ فَقُلْـــتَ : أَلَا سَـــائِلٌ فَيَسْـــأَل ، أَوْ رَاغِـــبٌ يَرْغَـــبُ ؟

فَأَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَم[1] .

وَلَـمَّا حَبَسَ عُمَرُ بن عَبْدِ العَزِيزِ يَزِيدَ بن المهَلَّبِ ، وطَالَبَهُ بِأَمْوَالٍ أَقَرَّ بِهَا فِى كُتُبِهِ لِسُلَيْمَانَ بن عَبْدِ الملِكِ ، خَرَجَ مَخْلَدٌ إِلَى عُمَرَ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فِى زِىٍّ غَيْرِ الزِّىِّ الذِى كَانَ يُعْرَفُ بِه ، فَقَالَ : مَا هَذَا الزِّىُّ يَا مَخْلَد ؟!

قَالَ : تَوَاضَعَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ فَتَوَاضَعْنَا ، ثُمَّ قَالَ : فِيمَ حَبَسْتَ هَذَا الشَّيْخ ؟

قَالَ : لِيُؤَدِّى مَا أَقَرَّ بِه مِنْ مَالِ الْفَىءِ ، وكَتَبَ بِقَصَّتِه إِلَى سُلَيْمَان .

قَالَ : إِنَّه كَانَ يَمْلِكُ أَمْرَ صَاحِبِهِ ، فَكَانَ يَتَحَسَّنُ عِنْدَه بِمَا يَعْلَـمُ أَنَّـه لا يَـنُصُّ إِلَيْهِ ، ولَا يُطَالَبُ بِهِ .

قَالَ : لَابُدَّ مِنْ ذَلِكَ ، ولَا يَقْبَلُ فِى هَذَا قَوْله .

قَالَ : فَإِنَّ الحَقَّ وَاحِدٌ ، أو دَخَلَ[2] فِيمَا يَدْخُلُ فِيه النَّاسُ .

---

(١) ينظر : تاريخ دمشق : ٥٧/ ١٦٩ ، الوافى بالوفيات : ١٣/ ١١٣ .

(٢) فى الأصل [دَخْلَا] ، و لم أجد له مجازا ؛ لأن الدَّخْل إما أن يكون بمعنى الدَّخَل وهو العيب والفساد ، أو يكون المعنى : ما دخل على الإنسان من ضَيْعَتِه مِنَ المَنَالَة . ينظر : تهذيب اللغة : (دخل) ٧/ ٢٧١ ، ٢٧٢، وتوجيه اللفظ على أيهما فيه تكلف ظاهر ، لأن المراد أن يسع عفو الخليفة أباه كما وسع غيره من الناس ، وهو ما جاء بنصه فى رواية ابن عساكر : « .. مَا بَالُكَ وَقَدْ وَسِعَ النَّاسَ عَفْوُكَ حَبَسْتَ هَذَا الشَّيْخَ ، فَإِنْ يَكُنْ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ عَادِلَة ، فَاحْكُمْ عَلَيْهِ وَإِلَّا فَيَمِينُه أَوْ فَصَالِحْهُ عَلَى ضِيَاعِه ... » تاريخ دمشق : ٥٧/ ١٦٩ .

قال : فَذَاكَ ، قَالَ مَخْلَد : فَوَسِّطْ مَنْ تَرَى .

قال : مَا أُوَسِّطُ غَيْرَك .

وتُوفِّى مَخْلَدٌ فِى تِلْكَ الأَيَّامِ صَبِيًّا ، فَأَخْرَجَ عُمَرُ يَزِيدَ أَبَاهُ حَتَّى صَلَّى عَلَيْهِ .

ويُقَالُ : إِنَّ عُمَرَ وَقَفَ عَلَى قَبْرِه ، فَقَالَ : لَوْ أَرَادَ الله بِأَهْلِ هَذَا البَيْتِ خَيْرًا لَأَبْقَى لَهُم هَذَا الغُلَام [١] .

قَالَ المَدَائِنِىُّ : حَمَلَ أَبُو مُسْلِم أَمْرَ الدَّعْوَةِ والقِيامِ بالدَّوْلَةِ ، وَسِنُّهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً [٢] .

وَوَلِىَ عبيدُ الله بن زِيَادٍ [٣] خُرَاسَانَ لِمُعَاوِيَةَ ، وَسِنُّهُ ثَلَاثٌ وعِشْرُونَ سَنَةً .

[٧/ أ] ورُوِىَ أَنَّ زِيَادًا قَالَ لِعُبَيْدِ الله : أَلَا أُوصِى بِكَ ، فَقَالَ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلحَىِّ إِلَا وَصِيةُ المَيِّت ، فَالحَىُّ هُو المَيِّت [٤] ، وهَذَا قَوْلُ الشَّاعِر [٥] :

إِذَا مَا الحَىُّ عَاشَ بِعَظْمِ مَيْتٍ فَذَاكَ العَظْمُ حَىٌّ وَهْوَ مَيْتُ

(١) ينظر : تاريخ دمشق : ٥٧/ ١٦٩ .

(٢) ورُوِى غير هذا ، فقيل نهض لأمر الدعوة وهو ابن ثمانى عشرة سنة ، وقيل نهض لها وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة . ينظر : وفيات الأعيان : ٣/ ١٤٩ .

(٣) هو عبيد الله بن زياد بن أبيه أمه مرجانة من بنات فارس ، وكان يعيره أعداؤه بنسبته إلى أمه ، وولى البصرة وخرسان سنة خمس وخمسين من الهجرة ، وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، قال الحسن البصرى : « قَدِمَ عَلَيْنَا عُبَيْدُ الله ، أَمَّرَهُ مُعَاوِيَةُ غُلاَماً سَفِيْهًا ، سَفَكَ الدِّمَاءَ سَفْكاً شَدِيْدًا .. » . سير أعلام النبلاء : ٣/ ٥٤٥ .

(٤) عيون الأخبار : ١/ ٢٣٥ .

(٥) من الوافر من دون نسبة فى : عيون الأخبار : ١/ ٢٣٥ ، المجالسة وجواهر العلم : ٥/ ٢٦٨ ، بهجة المجالس وأنس المجالس : ٣/ ٢٥١ ، محاضرات الأدباء : ١/ ٣٣٦ .

وَيُقَالُ : إِنَّ قَائِلَ هَذَا عَمْرُو بن سَعِيدٍ[١] الأَشْدَق ، وَقَدْ قَالَ لَهُ أَبُوه : أَلَا أُوصِى بِكَ مُعَاوِيَةَ ، ويقال :إِنَّهُ لعُبَيْدِ الله بنِ زِيَادِ بنِ ظَبْيَانَ التَّيْمِىّ مِنْ رَبِيعَةَ[٢] .

والأَوَّلَانِ أَصَحُّ ؛ لِأَنَّ هَذَا كَانَ شُجَاعًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ حَظٌّ فِى البَلَاغَةِ والكَلَام .

وعُبَيْدُ الله بن زِيَادٍ الذِى قَالَ لِمُعَاوِيَةَ : والله يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ لَئِن مَضَى أَبُونَا، وَلَمْ تُوَلِّ أَحَدًا مِنَّا ، وتُقْضَى أَيَّامُكَ ونَحْنُ هَكَذَا ، لَا يَرَى النَّاسُ فِينَا بَعْدَكُمَا مُصْطَنَعًا . وَكَذَا كَانَ ، لَمْ يُوَلِّ أَحَدًا مِنْهُم شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ [٣] .

وَيُقَالُ : إِنَّ قَائِلَ هَذَا الكَلَام لِمُعَاوِيَةَ سَلْمُ بن زِيَاد [٤] ، فَأَمَّا الذِى لَا يُشَكُّ فِيه أَنَّه مِنْ كَلَامِ عَمْرو بن سَعِيد ، فَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَالَ لَهُ : إِلَى مَنْ أَوْصَى بِكَ أَبُوك، قَالَ : إِنَّ أَبِى أَوْصَى إِلَىَّ وَلَمْ يُوصِ بِى[٥] .

وَوُلِّى بِشْرُ بن مَرْوَانَ العِرَاقَينِ ، وَكَانَ أَجْمَلَ النَّاسِ ، وتُوفِّىَ بِالبَصْرَةِ أَمِيرًا ، وَلم يَبْلُغ العِشْرِينَ ، وقِيلَ جَازَهَا ، وكَانَ مُمَدَّحًا ، وفِيه يَقُولُ جَرِيرٌ [٦] :

يَا بِشْرُ حُقَّ لِوَجْهِكَ التَبشِيرُ هَلّا غَضِبْتَ لَنَا وَأَنتَ أَمِيرُ

(١) فى الأصل [أسعد] ، وما أثبته هو الصواب ، فهو عمرو بن سعيد بن العاص . أنساب الأشراف : ٦/ ٥٨ .

(٢) ينظر الرواية له فى الحيوان : ٢/ ٩٥ ، ٩٦ ، البيان والتبيين : ٢/ ١١٢ ، عيون الأخبار : ١/ ٢٣٥ ، المجالسة وجواهر العلم : ٥/ ٢٦٨ ، بهجة المجالس وأنس المجالس : ٣/ ٢٥١ .

(٣) لا أدرى كيف قال ذلك ، وقد ذكر قبل ذلك بقليل أنه ولاه خراسان وسنه ثلاث وعشرون سنة .

(٤) سلم بن زياد بن أبيه ، ولاه معاوية خراسان سنة إحدى وستين من الهجرة ، وغزا سمرقند ، وامتدحه الناس لجوده ، وأحبه الشعراء ، وتوفى بالبصرة سنة ثلاث وسبعين من الهجرة . ينظر الأعلام : ٣/ ١١٠ .

(٥) أنساب الأشراف : ٦/ ٥٨ ، الأوائل للعسكرى : ٢٤٩ .

(٦) من الكامل فى ديوانه بشرح ابن حبيب : ٣٦٦

وَرَوَى العُتْبِيُّ أنَّ عَمْرَو بنَ سَعِيدٍ الأَشْدَق خَطَبَ النَّاسَ بِالمَدِينَةِ لما بُويِعَ يَزِيدُ ابن مُعَاوِيَة، فَقَالَ: قَدْ وَلِيْنَاكُمْ بِالشَّابِّ المُقْتَبَلِ حِينَ إِذْ خَرَجَ مِنَ الصِّغَرِ، ودَخَلَ فى الكِبَرِ، يَرَى مَنْ غَابَ عَنْهُ كَمَا يَرَى مَنْ حَضَرَهُ، رَقِيقٌ كَثِيف، رَفِيقٌ عَنِيف، إِنْ عَضَّ نَهَس، وإِنْ سَطَا افْتَرَس، لَا تُقْرَعُ لَه العَصَا، ولَا تُقْلَقُ لَهُ الحَصَا [١].

وقَدْ قِيلَ: السُّؤْدُدُ مَعَ السَّوَادِ [٢]، وقِيلَ: مَن لم يَسُدْ قَبْلَ الأَرْبَعِينَ لَمْ يَسُدْ بَعْدَهَا [٣].

قَالَ أَبُو مُجِيبٍ الأَعْرَابِىّ[٤]: لَمْ يَأْتِكَ أَحَدٌ بِخَيْرٍ قَطُّ لَمْ يَأْتِكَ بِه شَابًّا، وَأَنْشَد[٥]:

(١) ينظر خطبة عمرو بن سعيد هذه باختلاف يسير فى بعض ألفاظها وزيادات ليست فى رواية الصولى فى: التذكرة الحمدونية: ٨/ ٣١، سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى: ٣/ ١٦٥.

(٢) هى مقولة الأحنف بن قيس، ويحمل معناها على وجهين، أحدهما: موافق لغرض الصولى من هذا الكتاب أى أن السؤدد يكون مع سواد الشعر والحداثة، والثانى: يقصد بالسَّوَاد العَامَّة وجمهور الناس. ينظر: البيان والتبيين: ١/ ٢٧٤، المجالسة وجواهر العلم: ٤/ ٣٩٠، البصائر والذخائر: ٣/ ٥١، ٥/ ٦١، التمثيل والمحاضرة للثعالبى: ٣٣، ربيع الأبرار: ٤/ ٤٢٦.

(٣) ينظر: محاضرات الأدباء: ١/ ١٥٧.

(٤) هو أبو المجيب الربعى من الأعراب الفصحاء، روى عنه ثعلب وابن الأعرابى، قال ابن دريد: كان أعرابيا من بنى ربيعة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، قال الصولى عنه: كان فصيحا عالما، وله نُقُول فى بعض كتب اللغة والأدب والبلدان. ينظر: وصف المطر والسحاب: ٦٧، الأزمنة والأمكنة للمرزوقى: ٢/ ١١٤، معجم ما استعجم: ١/ ١١٤، الأغانى: ٥/ ٢٢٧، إنباه الرواة: ٤/ ١٢٠.

(٥) من الوافر، والبيت الأول منسوب لابن أحمر الباهلى فى المؤتلف والمختلف للآمدى: ٤٤، وفى شعره: ٣٩، جمع وتحقيق د/ حسين عطوان.

إِذَا ضَـيَّعْتَ [أَوَّلَ][1] كُـلِّ أَمْـرٍ أَبَـــتْ أَعْجَـــازُهُ إِلَّا التِـــوَاءَ

إِذَا أَتْبَعْـــتَ رَأْيَـــك رَأْىَ وَغْـــدٍ ضَـــعِيفٍ كَـــانَ رَأْيُكُـــمَا سَـــوَاءَ

وَتَقُولُ العَرَبُ أَيْضًا : مَن لم يَأْتِكَ بِخَيْرٍ صَغِيرًا ، لَمْ يَأْتِكَ بِه كَبِيرًا .

وَقَدْ سَادَ جَمَاعَةٌ مِنْ قُرَيشٍ ، وَسَادُوا فِى الحَدَاثَةِ ، مِنْهُم : هَاشِمُ بنُ عَبْدِ مَنَافٍ ، نَافَرَ أُمَيَّةَ بنَ عَبْدِ شَمْسٍ ، وهَاشِمٌ عَمُّهُ ، وَأُمَيَّةُ أَسَنُّ مِنْهُ ، فَنَفَرَ عَلَيْهِ وسَادَ قُرَيْشًا جَمِيعًا [2] ، [٧ / ب] وَلِهَاشِمٍ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً ، وتُوُفِّى بَعْدَه ولَهُ إِحْدَى وعِشْرُونَ سَنَةً .

وَرَوَى عَبْدُ الله بن مِصْعَبٍ الزُّبَيْرِى أَنَّ قُرَيْشًا سَوَّدَت أَبَا جَهْلٍ ولَمْ يَطُرَّ شَارِبُه ، وأَدْخَلَتْهُ مَعَ الكُهُولِ دَارَ النَّدْوَةِ [3] .

(١) سقط من الأصل .

(٢) ينظر منافرة هاشم بن عبد مناف وأمية فى المنمق فى أخبار قريش لابن حبيب : ٩٧ .

(٣) ينظر مثل هذه الرواية عن أبى عمرو بن العلاء فى البصائر والذخائر : ٦/ ٢١١ .

وَقَالَ البَنْدَنِيجِى [١] فى عُبَيْد الله بنِ عَبْدِ الله [٢] :

وَافَاهُ عِنْدَ اسْوِدَادِ الرَّأْسِ سُؤْدُدُه كَمَا يُوَافَى مَعَ المِيقَاتِ مَقْدُورُ

فَوَفْرُهُ بَيْنَ أَيْدِى العُرْفِ مُنْتَهَبٌ وَعِرْضُهُ عَنْ لِسَانِ الذَّمِّ مَوْفُورُ[٣]

وَقَالَ البُحْتُرِى فِى أَحْمَدَ بن مُحَمَّدٍ الطَائِىّ [٤] :

بَلَغَ السِّيَادَةَ فِى بُدُوِّ شَبَابِهِ إِنَّ السَّوَادَ مَطِيَّةٌ لِلسُّؤدَدِ

فِى كُلِّ يَوْمٍ رُتبَةٌ يَزْدَادُهَا وَيُشَارِفُ النُقْصَانَ مَنْ لَمْ يَزْدِدِ

وَجَمَعَ أَمِيرُ المؤْمِنِينَ عَلِىٌّ بن أَبِى طَالِبٍ – رَضِى الله عَنْهُ – للحُضَيْنِ بنِ المنْذِر ابنِ الحَارِثِ بن [وَعْلَةَ][٥] الرَّقَاشِىِّ يَوْمَ صَفَّيْن ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ حَدَثُ السِّنِّ رِيَاسَةَ بَكْر بنِ وَائِلٍ ، وَجَعَلَ أَلْوِيَتَهَا تَحْتَ لِوَائِه ، وَكَانَتْ رَايَتُهُ سَوْدَاءَ ، فَلَمْ يُغْنِ أَحَدٌ غَنَاءَه وغَنَاءَ أَصْحَابِه [٦] ، فَقَالَ عَلِىٌّ – رَحْمَةُ الله عَلَيْهِ – يَمْدَحُهُم [٧] :

---

(١) هو إبراهيم بن الفرج البندنيجى الكاتب ، كان فى أيام الواثق وبقى إلى أيام المعتمد . ينظر : الوافى بالوفيات : ٦/ ٥٩ .

(٢) هو الأمير أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر الخزاعى ، ولى شرطة بغداد نيابة عن أخيه الأمير محمد ثم استقل بها بعد موت أخيه ، وكان شاعرا محسنا ومترسلا بليغا ، وله تصانيف . مات سنة ثلاث وثلاثمائة . ينظر : سير أعلام النبلاء : ١٤/ ٦٢ ، الوافى بالوفيات : ١٩/ ٢٥١ ، الأعلام للزركلى : ٤/ ١٩٥ .

(٣) من البسيط للبندنيجى فى الوافى بالوفيات : ٦/ ٦٠ ، وكذا أنشد له ابن المعتز البيت الثانى فى كتاب البديع : ٥١ ، تحـ إغناطيوس كراتشقوفيسكى .

(٤) هو أبو جعفر أحمد بن محمد الطائى ولاه المعتمد على الكوفة وسوادها ، وطريق خراسان ، وسامراء والشرطة ببغداد ، ومات بالكوفة ودفن بها سنة إحدى وثمانين ومائتين ، ينظر ترجمته بهامش ديوان البحترى : ٩٣ ، والبيت من الكامل فى ديوان البحترى : ٦٩٠ .

(٥) فى الأصل [ولعة] .

(٦) ينظر : تاريخ الرسل والملوك للطبرى :١٦/ ٦٦٢ ، المؤتلف والمختلف : ١٢١ تحـ د/ عبد الستار فراج ، المناقب المزيدية فى أخبار الملوك الأسدية : ٤٠٤ .

(٧) من الطويل فى : تاريخ الرسل والملوك : ٥/ ٣٧ ، تاريخ دمشق : ١٤/ ٣٩٣ ، شرح نهج البلاغة : ٥/ ٢٢٧ ، نهاية الأرب : ٢٠/ ٧٦ .

لِـمَنْ رَايَـةٌ سَـوْدَاءُ يَخْفِـقُ ظِلُّهَـا إِذَا قِيـلَ قَـدِّمْهَا حُضَـيْنُ تَقَـدَّمَا

يُقَـدِّمُهَا فِي الـمَوْتِ حَتَّـى يُزِيرَهَـا حِيَاضَ الـمَنَايَا تَقْطُرُ الـمَوْتَ وَالـدَّمَا

جَـزَى اللهُ عَنِّـى والـجَزَاءُ بِكَفِّـهِ رَبِيعَـةَ خَـيْرًا مَـا أَعَـفَّ وَأَكْرَمَـا

وعُمِّرَ حُضَيْنُ بن المنْذِر حَتَّى بَلَغَ المِائَةَ أو نَحْوَهَا [١] .

وَمِمَّنْ مَلَكَ الأَرْضَ وسَارَ بِجَيْشِهَا ، وَلَهُ أَرْبَعَ عَشْرَة سَنَةً ، فَدَوَّخَ البِلَادَ ، وتُوُفِّىَ وَلَهُ نَيِّفٌ وعِشْرُونَ إِلَى الثَّلَاثِينَ سَنَةً عَلَى بُعْدِ صَوْتِه وجَلَالَةِ ذِكْرِه الإِسْكَنْدَرُ إِلَّا أَنِّى طَوَيْتُ أَوْصَافَهُ ، لِأَنَّ قَصْدِى مَنْ كَانَ مُذْ عَهْدِ النَّبِىِّ ﷺ ، ولَو تَعَدَّيْتُ ذَلِكَ لَجِئْتُ مِنْ مُلُوكِ الأَعَاجِمِ وَأُمَرَائِهِم وحُكَمَائِهِم مَنْ يَزِيدُ عَلَى هَذِه العِدَّة ، ويُقَالُ إِنَّ ذَا القَرْنَينِ الذِى ذَكَرَه اللهُ تَعَالى هُو الإِسْكَنْدَر الذِى تُؤُرِّخُ مِنْ أَيَّامِه [٢] ، وتَرَكْتُ أَيْضًا خُلَفَاءَ بَنِى أُمَيَّة ، ومَنْ وُلِّىَ مِنْ أَحْدَاثِهِم ؛ لأَنِّى قَصَدْتُ أَهْلَ الفَضْلِ والحَقِّ والاسْتِئهَالِ [٣] مِنَ الخُلَفَاءِ .

(١) ينظر : تهذيب التهذيب لابن حجر : ١/ ٤٤٨ ، ط مؤسسة الرسالة .

(٢) يعنى أن النصارى كانت تُؤَرِّخ بعهد الإسكندر ، ينظر : تاريخ الرسل والملوك : ١/ ١٩٣ ، وقيل إن ذا القرنين ليس هو الإسكندر ، وإنما هو الصَعْبُ بن ذِى مَرَاثِد ، وقد ذكرته العرب فى أشعارها . ينظر : التيجان فى ملوك حمير : ١١٩ ، ملوك حمير وأقيال اليمن لنشوان : ١٠٣ .

(٣) ينظر تفصيل الحديث عن استعمال (الاستئهال) بمعنى الاستحقاق فى ص ٣٥ .

فِى أَحْدَاثِ الفِرْسَان والشُّعَرَاءِ مَن يَتَقَدَّمُ سَائِرَهُم كَرَبِيعَةَ بن مُكَدَّم [١] ، وحِصْنِ بنِ حُذَيْفَة [٢] ، وصَخْرِ [٣] بنِ عَمْرِو بنِ الشَّرِيد ، إِلَّا أَنَّ [٨/ أ] حِصْنًا سَادَ حَدَثًا وبَلَغَ سِنًّا ، قَالَ مَعْمَر : قُتِلَ حُذَيْفَةُ بن بَدْرٍ ، وكَانَ يُقَالُ لَهُ : رَبُّ مَعَدٍّ ، وفِى ذَلِكَ يَقُولُ لَبِيد [٤] :

وَأَهلَكــنَ يَومًــا رَبَّ كِنــدَةَ وَابنَــهُ وَرَبَّ مَعَــدٍّ بَــينَ خَبْــتٍ وَعَرعَــرِ

وَكَانَتِ العَرَبُ تُسَمِّى زُرَارَة بن عُدُس الدَّارِمِىّ رَبَّ مَعَدٍّ أَيْضًا .

قال مَعْمَر : قُتِلَ حُذَيْفَة ، وَابْنُه حِصْنٌ حَدَثٌ ، فَقَامَ بالسِّيَادَةِ ، واسْتَقَلَّ بالرِّيَاسَةِ ، وحَاطَ قَوْمَه ، ونَكِىَ فى أَعْدَائِه ، وقَدْ قَالَ حِصْنٌ شِعْرًا يَحُثُّ فِيهِ قَوْمَه عَلَى طَاعَةِ ابْنِه عُيَيْنَةَ بَعْدَه ، ويَذْكُرُ أَمْرَه حَيْثُ تَرَكَهُ حُذَيْفَةُ صَغِيرًا يَتِيمًا ،

---

(١) هو رَبِيعَةُ بن مُكَدَّم من بني كنانة ، أحد فرسان العرب المعدودين في الجاهلية ، وضرب به المثل فى الشجاعة ، فيقال : أَشْجَع مِن رَبِيعَة بن مُكَدَّم ، له أخبار أشهرها حمايته للضعن بعد مقتله . ولا يعلم قتيل حمى الظعن غيره ، وما مر أحد بقبره بعد موته إلا عقر تقديرا لشجاعته وفروسيته ، ولا يعرف فى الجاهلية عربى يعقر على قبره غيره . ينظر : المؤتلف والمختلف للدارقطنى : ٤/ ٢١٥٤ ، الأعلام للزركلي : ٣/ ١٧ .

(٢) هو حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى من سادات العرب ، قاد أسدا وغطفان ، وكان له لواء ذبيان وأسد يوم جبلة يطلب عبسا بدم أبيه ، فقد قتلت أباه يوم الهباءة ، وذُكِرَ اسمه فى مجلس معاوية ، فقال أعرابى : ما رأينا أعظم قدرا من حصن بن حذيفة . وطعنه كُرْز العقيلى فى غزاة من بنى عامر ، ومات متأثرا بها ، وأوصى عيينةَ ابنه قبل موته بقتله . ينظر : أنساب الأشراف ١٢/ ٢٠ ، ١٣/ ١٧١ ، ١٧٤ .

(٣) فى الأصل [حصن] ، والصواب ما أثبته فى المتن ، ينظر : المناقب المزيدية : ٢٠٠ ، وهو أخو الخنساء ، ومات من أثر طعنة فى جنبه طعنها له ربيعة بن ثور الأسدى ، وظل طريح الفراش بعدها حتى مله أهله ، فكان إذا سألوا عنه زوجه فتقول : لا حَيّ فَيُرْجَى ، ولا مَيِّتٌ فَيُبْكى ، ودفن بالعقيق . الكامل للمبرد : ٣/ ١٤٢٥ ، الجليس الصالح : ٢/ ١٨٥ ، معجم ما استعجم : ٣/ ٩٥٢ .

(٤) من الطويل فى شرح ديوانه : ٥٥ .

وَهُوَ [١] :

وَلُّوا عُيَينَةَ مِن بَعْدِى أُمورَكُمُ ... وَاسْتَوسِقُوا أَنَّهُ بَعْدى لَكُم حَامِى

وَلِّى حُذَيفَةُ إِذ وَلّى وَغَادَرَنِى ... يَومَ الهَبَاةِ يَتيمًا بَيْنَ أَيتامِ

لَا أَرفَعُ الطَرْفَ مِنْ ذُلٍّ ومَحْقَرَةٍ ... أَلْقَى العَدوَّ بِوَجهٍ خَدُّهُ دَامِى

حَتَّى أَخَذْتُ لِوَا قَوْمِى فَقُمْتُ بِه ... ثُمَّ انْثَنَيْتُ إِلى الجَفْنِىِّ بِالشَّامِ

وَالدَهرُ آخِرُهُ شِبْهٌ بِأَوَّلِهِ ... نَاسٌ كَنَاسٍ وَأَيَّامٌ كَأَيَّامِ

وَقَدْ بَلَغَ صَخْرٌ سِنًّا ؛ لَكِنَّهُ سَادَ عَشِيرَتَهُ وَهُوَ غُلَامٌ ، وَقَدْ ذَكَرَتْ ذَلِكَ الخَنْسَاءُ فى غَيْرِ شِعْرٍ لَوْلَا شُهْرَتُهُ لَذَكَرْتُه ، فَمِن ذَلِكَ قَوْلُهَا [٢] :

رَفيعَ العِمَادِ طَويلَ النِجا (م) دِ سَادَ عَشِيرَتَهُ أَمْرَدا

يُكَلِّفُهُ القَومُ مَا عالَهُم ... وَإِنْ كَانَ أَصْغَرَهُم مَولِدا

وأَمَّا رَبِيعَةُ بن مُكَدَّمٍ فَكَانَ فَارِسًا ثَقِفًا ، قُتِل وَهُو حَدَثٌ لَمْ يَبْلُغِ العِشْرِينَ ، وسُمِّىَ حَامِىَ الظَّعْنِ ، ولَا يُعْرَفُ فَارِسٌ حَمَى وَهُوَ مَيِّتٌ غَيْرُه ، وذَلِكَ أَنَّه زَارَ أَخْوَالَهُ بِنَى سُلَيم ، فَأَقَامَ فِيهِم ، فَلَمَّا رَجَعَ يُرِيدُ قَوْمَه وَمَعَهُ أُمُّهُ وأُخْتُهُ ، أَتْبَعَهُ فَوَارِسُ ، مِنْهُم نُبَيْشَةُ بن حَبِيبِ بن رَبَابٍ السُّلَمِى ، فَلَحِقُوهُ عَلَى ثَنِيَّةٍ ، فَطَاعَنُوهُ لَيْلَتَهُم ، فَطَعَنَهُ نُبَيْشَةُ طَعْنَةً ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّه مَيِّتٌ عَصَبَهَا ، وقَالَ لِأُمِّهِ [٣] :

---

(١) من البسيط له فى : المصون فى الأدب : ١٤٣ ، البصائر والذخائر : ١/ ١٦٨ .

(٢) من المتقارب فى ديوانها بشرح ثعلب : ١٤٣ ، ١٤٦ .

(٣) من الرجز له فى : جمهرة الأمثال : ١/ ٤٠٩ ، رسالة الصاهل والشاحج : ٤٦٢ ، وبعض هذا الخبر فى المناقب المزيدية : ٢٠٠ .

شُـدِّى عـلىَّ العَصْـبَ أُمَّ سَـيَّارْ فقَـدْ رُزِيـتِ فارِسًـا كَالـدِّينَارْ

وقَالَ لِأُمِّه ولِأُخْتِهِ : اسْتَحِثَّا بَعِيرَيْكُمَا حَتَّى تَلْحَقَا بِالحَيِّ ، وَوَقَفَ عَلى الثَّنِيَّةِ وهَابُوه ، فَلَمْ يُقْدِمُوا عَلَيْهِ ، ومَاتَ عَلَى فَرَسِه ، فَلَمْ يَعْلَمُوا مَا بِه حَتَّى أَصَابَ الفَرَسَ بَرْدُ السَّحَمِ [١] فَتَفَاجَّ لِيَبُولَ ، فَسَقَطَ عَنْهُ مَيِّتًا ، فَدَفَنُوه ، فَمَرَّ بِقَبْرِهِ عَمْرُو بن شَقِيقٍ الفِهْرِىّ مِن بَنِى [٨/ ب] الحَارِث بن فِهْر بن مَالِك بن النَّضِيرِ بن كِنَانَة ، فَقَالَ [٢] :

لَا يَبْعَـدَنَّ رَبِيعَـةُ بـنُ مُكَـدَّمٍ وَسَـقَى الغَـوادِى قَـبْرَهُ بِـذَنُوبِ

حَادَتْ قَلُوصِى عَنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيَـتْ عَـلَى طَلْـقِ اليَـدَيْنِ وَهُـوبِ

لَا تَنْفِـرِى يَـا نَـاقُ مِنْـهُ فَإِنَّـهُ شِرِّيـبُ خَمْـرٍ مِسْـعَرٌ لِحُـرُوبِ

لَـوْلَا القِفَـارُ وبُعـدُ خَـرْقٍ مَهْمَـهٍ لَتَرَكْتُهَـا تحبُـو عَـلَى العُرُقُـوبِ

نِعْـمَ الفَتَـى أَدَّى نُبَيْشَـةُ بَـزَّهُ يَـوْمَ اللِّقَـاءِ ، نُبَيْشَـةُ بـنُ حَبِيـبِ

فَقَالَ قَوْمُه : لَو كُنْتَ عَقَرْتَهَا عَلَى قَبْرِه ، أَعْطَيْنَاكَ مَكَانَهَا مِائَةً مِنَ الإِبِل .

---

(١) [السَّحَم] بالميم كذا فى الأصل ، ويعنى بالسَّحَم : سَوَاد اللَّيْلِ ، ولم أجد استعمال السَّحَمِ بوزن (فَعَل) فى معنى الليل عند غيره ، ولكن قال صاحب العين : « الأَسْحَمُ : اللَّيلُ فِى شِعْرِ الأَعْشَى :

بِأَسحَمَ داجٍ عَوْضُ لا نَتَفَرَّقُ »

العين : (سحم) ٣/ ١٥٥ ، والشاهد عجز بيت من الطويل ، والبيت بتمامه فى ديوان الأعشى : ٢٢٥ ، وقال ابن سيده : « السَّحَمُ والسُّحَامُ والسُّحْمَة : السَّوَادُ ،وكُلُّ أَسْوَدٍ أَسْحَم » المحكم: (سحم) ٣/ ١٥٨ .

(٢) من الكامل له فى :أنساب الأشراف : ١١/ ٦٤ ، معجم الشعراء : ٥٧ ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم : ١/ ١٧٦ .

وهَذِه الأَبْيَاتُ تُرْوَى لِحَسَّان بنِ ثَابِتٍ [١] ، ولِمِكْرَزِ بنِ حَفْصٍ العَامِرِىّ [٢] ، وعَمْرُو[٣] بنُ شَقِيقٍ أَوْلَى بِهَا ، وهِى لَه ، كَذَا قَالَ ابنُ سَلَّامٍ [٤] . وَإِنَّمَا اقْتَصَرْنَا عَلَى مَنْ لَهُ شُهْرَةٌ ونَبَاهَةٌ ، فَأَمَّا مَنْ لَيْسَ كَهَؤُلَاءِ فى الشُّهْرَةِ ، وَهُوَ كَهُم [٥] فِى الحَدَاثَةِ فَكثِيرٌ .

وَمِثْلُ طَرَفَةَ بنِ العَبْدِ فى شِعْرِ الجَاهِلِيَّة ، رَوَى الأَصْمَعِىّ عَنْ أَبِى عَمْرو بن العَلَاءِ ، قَالَ : سُئِلَ حَسَّانُ بن ثَابِتٍ ، مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟

فَقَالَ : أَقَبِيلَةً أَمْ قَصِيدَةً ؟

قِيلَ : كِلَاهُمَا ، قَالَ : أَمَّا أَشْعَرُهُم قَصِيدَةً فَطَرَفَة ، وَأَشْعَرُهُم قَبِيلَةً هُذَيلٌ [٦] بَيْنَ حَرَّتَيْنِ .

---

(١) ينظر نسبتها لحسان فى فى الكامل فى اللغة والأدب : ٣/ ١٤٥٨ .

(٢) ينظر نسبتها لمكرز فى الحماسة البصرية : ٢/ ٦٨٠ .

(٣) فى الأصل [عامر] ، وهو سهو من الناسخ .

(٤) لم أعثر على البيت أو نسبته فى طبقات فحول الشعراء لابن سلام .

(٥) هذا تركيب قليل الاستعمال ، حيث أدخل كاف التشبيه على الضمير المنفصل المرفوع ، والمشهور فى الاستعمال دخولها على الاسم الظاهر كقولهم أنت كزيد أو أنت كمثله أو نحو هذا . ينظر : الصحاح : (أنن) ، وقد جاء الاستعمال بدخول الكاف على الضمير المنفصل كدخولها على الاسم الظاهر نحو : أنا كأنت ، وأنت كهو ، قال رؤبة (من الرجز) :

فَلاَ تَرَى بَعْلاً وَلاَ حَلاَئِلَا كَهْوَ وَلاَ كَهُنَّ إِلاَّ حَاظِلَا

شرح ديوان رؤبة : ٢/ ٣٨٨ ، وروى الكسائى عن بعض العرب أنه قيل له : « مَنْ تَعُدُّونَ الصُّعْلُوكَ فِيكُم ؟ فقال: هُو الغَدَاةَ كَأَنَا » الضرائر لابن عصفور : ٣٠٨ ، وأنكر ذلك بعض النحاة . ينظر المقتضب : ٣/ ٧٣ ، وحمله بعضهم على الشذوذ . ينظر : خزانة الأدب : ٥/ ٣٣٩ .

(٦)[هديل] بالدال المهملة كذا فى الأصل ، والصواب هذيل بالذال المعجمة ، وكذا بالذال فى الرواية التى تليها ، وينظر مضمون الخبر فى العقد المفصل لحيدر الحلى : ١/ ١٠٩ ويعنى بهذيل التى بين حرتين أى التى تسكن السروات بين مكة والمدينة . ينظر معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : ٣/ ١٢١٣ .

ويُرْوَى أَنَّه قَالَ لَـمَّا سُئِلَ: حَيًّا أو رَجُلًا ؟ قَالُوا : حَيًّا ، قَالَ : هُذَيْل [١] .

وَعَنْ أَبِى الـمُنْذِر : مَاتَ أَبُو طَرَفَة ، وطَرَفَةُ صَغِيرٌ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ وَرْدَةُ بِنْتُ قَتَادَة مِنْ بَنِى ضُبَيْعَة بن قَيْسٍ ، فَظَلَمَهَا أَهْلُهَا حَقًّا لهَا ، واجْتَمَعُوا ، فَخَرَجَ طَرَفَةُ، فَقَالَ [٢] :

مَـا تَنظُـرونَ بِحَـقِّ وَردَةَ فـيكُمُ صَـغُرَ البَنـونَ وَرَهْـطُ وَرْدَةَ غُيَّـبُ

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُم : اتَّقُوا هَذَا بِحَقٍّ ، فَوَاللهِ إِنْ عَاشَ لَيَكُونَنَّ شَاعِرَ قَوْمِهِ .

وَقَـالَ أَبُـو عُبَيْـدَةَ : اتَّفَـقَ العَـرَبُ عَـلَى أَنَّ أَشْـعَرَ الشُّـعَرَاءِ فِى الجَاهِلَيَّـةِ [وأَجْوَدَهُم] [٣] وَاحِدةً طَرَفَةُ ، وبَعْدهُ الحَارِثُ بـنُ حِلِّـزَة ، وعَمْـرُو بـنُ كُلْثُـوم ونَظِيرُهُم فِى الإِسْلَامِ سُوَيد بنُ أَبِى كَاهِل [٤] .

وقال أبو عمرو : لم يُجِد أَحَدٌ مِنَ الشُّعَرَاءِ فِى الشِّعْرِ ، ويَفْحَلْ فِى حَدَاثَةِ سِنِّه إِلَّا طَرَفَةَ ، فَإِنَّه قَالَ الشِّعْرَ حَدَثًا ، فَشَعَرَ وشُهِرَ فى سَنَوَاتٍ ، وقُتِلَ وهُو ابنُ بِضْـعٍ وعِشْرِينَ سَنَةً ، وَقَدْ قِيلَ إِنَّه لَمْ يَبْلُغ العِشْرِينَ [٥] .

قِيلَ لِأَبِى عَمْرٍو : مَا الذِى يُصَحِّحُ عِنْدَكَ حَدَاثَتَهُ ؟

قَالَ : لَمْ أَرَهُ ذَكَرَ الشَّيْبَ ، ولَا بَكَى عَلَى الشَّبَابِ ، ولَا كَثُرَ شِعْرُه عَلَى أَفْوَاهِ

(١) ينظر : فحولة الشعراء للأصمعى : ٦٥ ، تحـ د/ محمد عودة سلامة .

(٢) من الكامل فى ديوانه : ١١٤ ، الشعر والشعراء : ١/ ١٨٧ .

(٣) ما بين العقوفين سقطت من الأصل ، أثبته من رواية أبى عبيدة فى الشعر والشعراء : ١/ ١٩٠ ، ويعنى بقوله : أجودهم واحدة أى معلقته .

(٤) ينظر الشعر والشعراء : ١/ ١٩٠ ، شرح شواهد المغنى للسيوطى : ٢/ ٨٠٥ .

(٥) ينظر : الشعر والشعراء : ١/ ١٨٨ ، الأعلام للزركلى : ٣/ ٢٢٥ .

الرُّوَاةِ ، وَقَالَت أُخْتُه فِيه تَرْثِيهِ [١] : [٩ / أ]

عَـدَدْنَا لَـهُ خَمسًـا وَعِشْرِيـنَ حِجَّـةً فَلَـمّا تَوَفّاهَـا اسْـتَوَى سَـيِّدًا ضَـخْما

فُجِعْنَـا بِـهِ لَـمَّا انْتَظَرنَـا إِيَابَـهُ عَـلَى خَـيرِ حَـالٍ لَا وَلِيـدًا وَلا قَحْـما

وقَالَ الأَصْمَعِيُّ : قَالَ رَجُلٌ لجَرِيرٍ : مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ ؟

قَالَ الذى يَقُولُ [٢] :

غَدٌ مَا غَدٌ مَا أَقْرَبَ اليَوْمَ مِنْ غَدِ

يعنى طرفة [٣] ، وفى خبر آخر [٤] :

سَـيَأتيكَ بِالأَخبـارِ مَـن لَم تَبِـع لَـهُ بَتَاتًـا وَلَم تَضرِـب لَـهُ وَقـتَ مَوعِـدِ

سَتُبدى لَكَ الأَيَّامُ مَا كُنتَ جَاهِلًا وَيَأتيـكَ بِالأَخْبَـارِ مَـن لَم تُـزَوِّدِ

قَوْلُه : (لَمْ تَبِع لَه بَتَاتًا) ، البَتَاتُ : الزَّادُ ، وتقول العرب : تَبَتَّتْهُ أى تَزَوَّدْهُ .

وَقَالَ مُحَمَّدُ بنُ سَلَّامٍ : وَفَدَ طَرَفَة عَلَى عَمْرِو بنِ هِنْد ، وَهُوَ شَابٌّ ، فَدَعَاهُ إِلَى أَنْ يُقِيمَ عِنْدَه ، وأَعْجَبَهُ شِعْرُه ولِسَانُه ، فَقَالَ : إِنِّى أَخَافُ عَلَى إِبِلِى ، فَقَالَ بِشْرُ بنُ قَيْسٍ النَّصْرِىَّ- وكان حَازَبَ المُنْذِرَ وقَابُوسَ بن المُنْذِرِ - : قَدْ أَجَرْنَاهَا ، فَأَقَامَ

(١) للخرنق بنت بدر فى ديوانها : ١٩ ، ٢٠ ، وهى أخت طَرَفَة لأمّه ، وينظر : العمدة لابن رشيق : ١/ ١٠٣ ، ربيع الأبرار : ٥/ ١٤٨ .

(٢) من الطويل له فى : شرح القصائد السبع : ٢١٣ ، شرح الأشعار الستة الجاهلية للوزير البطليوسى: ٢/ ٤٣٠، ديوانه : ٥٩ .

(٣) كذا الرواية عن الأصمعى فى شرح القصائد السبع لابن الأنبارى : ٢٣١ ، وفيها أن السائل رجل من أُضَاخ أحدى قرى اليمامة .

(٤) ينظر : شرح القصائد السبع :٢٣٠ ، ٢٣١ ، شرح الأشعار الستة الجاهلية للوزير البطليوسى: ٢/ ٤٣٠ .

فِيهِم يَتَقَدَّمُ عِنْدَ عَمْرو بنِ هِنْد النَّاسَ ، وأَمْثَالُه حِينَ قَدِمَ عَلَى عَمْرِو بنِ هِنْد ابنُ كُلْثُوم التَّغْلَبِى ، وكَانَ مُتكَبِّرًا مُخْتَالًا ، فَأَنْشَدَهُ شِعْرًا لَهُ وَصَفَ فِيهِ جَمَلًا، فَبَيْنَمَا هُو فِى صِفَتِه خَرَجَ إِلَى مَا تُوصَفُ بِه النَّاقَةُ ، فَقَالَ لَهُ طَرَفَة : اسْتَنْوَقَ الجَمَلُ ، فَغَضِبَ عَمْرو ، وهَايَجَ طَرَفَةَ ، وَكَانَ مَيْلُ عَمْرِو بنِ هِنْد مَعَ طَرَفَة ، فَاسْتَعْلَاه عَمْرٌو بِفَضْلِ العِلْمِ ، فَقَالَ طَرَفَة أَبْيَاتًا يَفْخَرُ فِيهَا ، وَهِى [1] :

أَشَجَاكَ [الرَّبْعُ][2] أَمْ قِدَمُه أَمْ رَمَادٌ دَارِسٌ مُحَمَّمُه

فَغَضِبَ عَمْرو قَالَ [3] :

أَلا هُبّي بِصَحنِكِ ...

فَفَخَرَ عَلَيْهِ ، وعَلِيَهُ [4] .

*****

تَمَّ والحَمْدُ لله وَحْدَهُ ، والشُّكْرُ والثَّنَاءُ الحَسَنُ الجَمِيل كَمَا هُوَ أَهْلُه ، وصَلَواتُه وسَلَامُه عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ خَلْقِه وآلِهِ وصَحْبِهِ وعَشِيرَتِه الطَّاهِرِينَ .

وحَسْبُنَا اللهُ ونِعْمَ الوَكِيل

(١) من المديد فى ديوانه : ٨٢ .

(٢) سقط من الأصل .

(٣) من الوافر له فى ديوانه : ٣٠٧ ، تح أيمن ميدان ، جمهرة أشعار العرب : ٢٧٢ ، وهو مطلع معلقته :

أَلاَ هُبّي بِصَحْنِكِ فَاصْبَحينا وَلاَ تُبقِي خُمُورَ الأَندَرِينَا

(٤) الرواية عن محمد بن سلام ليست فى طبقات فحول الشعراء ، وهى عنه فى : الموشح للمرزبانى : ٩٤ ، شرح المعلقات التسع المنسوب للشيبانى : ٣٠٧ .

المصادر والمراجع

١- الأحاديث المختارة للضياء المقدسى ، تحـ عبد الملك بن عبد الله بن دهـيش ، ط دار خضـر للطباعـة والنشـر والتوزيـع – بيـروت ، الثالثة ، ٢٠٠٠م .

٢- أخبار أبى تمام لأبى بكر الصولى ، تحـ خليل عساكر وآخرين ، ط دار الآفاق الجديدة – بيروت ، الثانية ، ١٩٨٠م .

٣- أخبار القضاة لوكيع ، تحـ عبد العزيز مصطفى المراغى ، ط المكتبة التجارية الكبرى – مصر ، الأولى ، ١٩٤٧م .

٤- أخبار مكة فى قديم الدهر وحديثه للفاكهى ، تحـ: عبد الملك بن عبدالله بن دهيش ، ط دار خضر للطباعة والنشر – بيروت ، الثانية ، ١٩٩٤ م .

٥- أدب الكاتب لابن قتيبة تحـ / محمد الدالى ، مؤسسة الرسالة ، ١٩٨١ م .

٦- الأزمنة والأمكنة للمرزوقى ، ط الأولى ، حيدر آباد ١٣٣٢ هـ .

٧- أسد الغابة فى معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ، ١٩٩٤م .

٨- إسفار الفصيح لأبى سهل الهروى تحـ د/ أحمد قشاش ، ط الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٠ هـ .

٩- الإصابة فى تمييز الصحابة لابن حجر تحـ/ على محمد البجاوى ط: دار الكتب العلمية – بيروت .

١٠- إصلاح المنطق لابن السكيت تحـ أحمد شاكر ، عبد السلام هارون ، ط دار المعارف ، الرابعة ١٩٨٧ م .

١١- الأصمعيات تحـ/ أحمد شاكر وعبد السلام هارون، ط دار المعارف.

١٢- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس ، ط مكتبة نهضة مصر .
١٣- الأعلام للزركلى ، ط دار العلم للملايين ، الخامسة عشر ، ٢٠٠٢م.
١٤- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ، تحـ إحسان عباس وآخرين ، ط دار صادر ، الثالثة ، ٢٠٠٨م .
١٥- الأفعال للسرقسطي تحـ د/ حسين شرف ط الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ط الأولى ١٩٨٠ م.
١٦- الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لابن ماكولا ، ط دار الكتب العلمية -بيروت- لبنان ، الأولى ، ١٩٩٠م .
١٧- الأمالى لأبى على القالى ط دار الكتب العلمية ، مصورة عن ط دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م .
١٨- الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة فى الأخبار والآثار لأبى الفتح الأسكندرى ، تحـ حمد الجاسر ، ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الأولى ، ٢٠٠٤م .
١٩- إنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطى تحـ/ محمد أبو الفضل إبراهيم ط دار الفكر العربى بالقاهرة ، ومؤسسة الكتب الثقافية بيروت ط الأولى ١٩٨٦ م .
٢٠- أنساب الأشراف للبلاذرى ، تحـ سهيل ذكار ، ورياض زركلى ، ط دار الفكر ، الأولى ، ١٩٩٦م .
٢١- الإنصاف بين ابن برى وابن الخشاب فى كلامهما على المقامات لموفق الدين البغدادى، تحـ د/ مصطفى قرمد ، الأولى ، ٢٠١٥م.
٢٢- الأوائل لأبى هلال العسكرى ، ط دار البشير – طنطا ، الأولى ، ١٤٠٨هـ .

٢٣- الأوراق لأبى بكر الصولى (أخبار الراضى بالله والمتقى لله) ، تحـ ج. هيروث. دن ، ط دار المسير – بيروت ، ١٩٧٩م .

٢٤- البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ١٩٩٣ م .

٢٥- البداية والنهاية لابن كثير ، تحـ : عبد الله عبد المحسن التركى ، ط مركز الدراسات والبحوث الإسلامية والعربية بدار هجر الأولى ، ١٩٩٧م .

٢٦- كتاب البديع لابن المعتز ، تحـ إغناطيوس كراتشقوفيسكى ، ط دار المسيرة – بيروت ، الثالثة ، ١٩٨٢م .

٢٧- البصائر والذخائر لأبى حيان التوحيدى تحـ د/ وداد القاضى ، ط دار صادر الأولى ١٩٨٨م .

٢٨- بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس لابن عبد البر القرطى ، تحـ محمد مرسى الخولى ، ط دار الكتب العلمية – بيروت ، الثانية ، ١٩٨٢ م .

٢٩- البيان والتبيين للجاحظ تحـ / عبد السلام هارون ط مكتبة الخانجى بالقاهرة السابعة ١٩٩٨ م .

٣٠- تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدى تحـ عبد الستار فراج ، وآخرين ، ط المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب الكويت ١٩٦٥-٢٠٠١ .

٣١- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى تحـ د/بشار عواد معروف ، ط دار الغرب الإسلامى ، الأولى ، ٢٠٠٢م .

٣٢- تاريخ دمشق لابن عساكر، تحـ / عمر بن غرامة العمروي، ط دار الفكر – بيروت ١٩٩٥م.

٣٣- تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبرى) تحـ : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط : دار المعارف ، الثانية .
٣٤- تاريخ اليعقوبى ، ط مطبعة بريل – ليدن ، ١٨٨٣م .
٣٥- تجريد أسماء الصحابة للذهبى ، ط دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت .
٣٦- تحصيل عين الذهب من معدن جوهر الأدب فى علم مجازات العرب للأعلم الشنتمرى ، تحـ زهير عبد المحسن سلطان ، ط مؤسسة الرسالة ، الثانية ، ١٩٩٤م .
٣٧- التذكرة الحمدونية لابن حمودن ، تحـ إحسان عباس وبكر عباس ، ط دار صادر ، الأولى ، ١٩٩٦م .
٣٨- تصحيفات المحدثين لأبى أحمد العسكرى ، تحـ محمود أحمد ميرة ، ط المطبعة العربية الحديثة ، الأولى ، ١٩٨٢م .
٣٩- تعليق من أمالى ابن دريد تحـ/ السيد مصطفى السنوسى ، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، (السلسلة التراثية) الكويت ، الأولى ١٩٨٤م .
٤٠- تفسير البغوى (معالم التنزيل) تحـ محمد إبراهيم النمر وآخرين ، ط دار طيبة بالرياض ١٤٠٩هـ .
٤١- تفسير القرآن العظيم لابن أبى حاتم ، تحـ : أسعد محمد الطيب ، نشرة مكتبة مصطفى نزار الباز ، الثالثة ، ١٤١٩هـ .
٤٢- تفسير القرآن العظيم لابن كثير تحـ سامى محمد السلامة ، دار طيبة – الرياض ، الثانية ، ١٩٩٩م .
٤٣- التكملة والذيل والصلة على صحاح الجوهرى للصغانى ، تحـ عبد العليم الطحاوى ، إبراهيم الإبيارى ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار الكتب المصرية ١٩٧٠ – ١٩٧٩ م .

٤٤- التمثيل والمحاضرة لأبى منصور الثعالبى ، تحـ عبد الفتاح الحلو ، ط الدار العربية للكتاب ، ١٩٨١م .
٤٥- التنبيه والإيضاح عما وقع فى الصحاح (١ ،٢) تحـ عبد العليم الطحاوى ، عبد السلام هارون ، مصطفى حجازى ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الأولى ١٩٨٠م . و (٣، ٤، ٥ ،٦ تحـ رجب عبد الجواد إبراهيم وآخرين(ط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الأولى ، ٢٠٠٩ م -٢٠١٠م .
٤٦- التنبيهات لعلى بن حمزة تحـ عبد العزيز الميمنى الراجكوتى ، دار المعارف ١٩٦٧ م .
٤٧- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ، تحـ إبراهيم الزيبق ، وعادل مرشد ط مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٥م .
٤٨- تهذيب الكمال لأبى الحجاج يوسف المزى تحـ/ بشار عواد معروف ط : مؤسسة الرسالة ، الثانية ، ١٩٨٣ م .
٤٩- تهذيب اللغة للأزهري تحـ/ عبد السلام هارون وآخرين ط الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٤ - ١٩٦٧ م.
٥٠- الثقات لابن حبان ، ط دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الأولى ، ١٩٧٣م .
٥١- الجامع لأحكام القرآن للقرطبى تحـ أحمد البردونى ، وإبراهيم أطفيش ، ط دار الكتب المصرية ، الثانية ، ١٩٦٤م .
٥٢- جامع البيان عن تأويل آى القرآن للطبرى ، تحـ عبد الله عبد المحسن التركى ، ط هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، الأولى ، ٢٠٠١م .
٥٣- الجرح والتعديل لابن أبى حاتم ، ط دار إحياء التراث العربى – بيروت ، مصورة عن طبعة حيدر آباد ، الأولى ، ١٩٥٢ .

٥٤- الجليس الصالح للمعافى بن زكريا تحـ د/ محمد مرسى الخولى ، د/ إحسان عباس ، ط عالم الكتب ، الأولى ، ١٩٩٣ م .
٥٥- جمهرة أشعار العرب لأبى زيد القرشى ، تحـ على محمد البجاوى ، ط نهضة مصر .
٥٦- جمهرة الأمثال لأبى هلال العسكرى ، تحـ/ محمد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش دار الجيل بيروت ،الثانية ١٩٨٨م .
٥٧- جمهرة أنساب العرب لابن حزم تحـ عبد السلام هارون ط دار المعارف ، الخامسة ، ١٩٨٢ م .
٥٨- جمهرة اللغة لابن دريد ، تحـ د/رمزى منير البعلبكى ط دار العلم للملايين ، الأولى ، ١٩٨٧ م .
٥٩- جمهرة نسب قريش وأخبارها للزبير بن بكار ، تحـ محمود محمد شاكر ، ط مطبعة المدنى ، ١٣٨١هـ .
٦٠- الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسى ، تحـ / بدر الدين قهوجى وآخرين ، دار المأمون للتراث ط الثانية ، ١٩٩٣م .
٦١- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبى نعيم الأصفهانى ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ، ١٩٨٨م .
٦٢- الحماسة البصرية لصدر الدين بن أبى الفرج البصرى تحـ عادل سليمان جمال ، ط مكتبة الخانجى ، الأولى ، ١٩٩٩م .
٦٣- حواشى ابن برى وابن ظَفَر على درة الغواص فى أوهام الخواص ، تحـ أحمد طه حسانين سلطان ، ط مطبعة الأمانة ، الأولى،١٩٩١م.
٦٤- الحيوان للجاحظ تحـ عبد السلام هارون ، ط مصطفى البابى الحلبى، الثانية ، ١٩٦٥ م .

٦٥- كتاب الاختيارين للأخفش تحـ د/ فخر الدين قباوة ، مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٩٨٤ م .
٦٦- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادى تحـ / عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ١٩٧٩ – ١٩٨٦م .
٦٧- الخصائص لابن جنى تحـ / محمد على النجار ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٦م .
٦٨- خلاصة السير الجامعة لعجائب الملوك التبابعة (شرح قصيدة نشوان الحميرى ملوك حمير وأقيال اليمن) تحـ على إسماعيل المؤيد، وأحمد إسماعيل الجرافى ، دار العودة – بيروت ، الثانية ، ١٩٧٨م .
٦٩- دراسة فى علم الأصوات ، د/ حازم على كمال الدين ، ط مكتبة الآداب ، الأولى ، ١٩٩٩م .
٧٠- درة الغواص للحريرى تحـ: بشار بكور ط: دار الثقافة والتراث، الأولى، ٢٠٠٢م .
٧١- الدرر فى اختصار المغازى والسير لابن عبد البر ، تحـ د/شوقى ضيف ، ط دار المعارف ، ١٩٩١م .
٧٢- ديوان أبى نواس ، تحـ إيفالد فاغنر ، ط : النشرات الإسلامية ، فرانز اشتاينر ، ١٩٧٢م .
٧٣- ديوان الأدب للفارابى تحـ د/ أحمد مختار عمر ط مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
٧٤- ديوان الأعشى الكبير تحـ د/ محمد حسين ط مكتبة الآداب بالجماميز ، الأولى القاهرة ١٩٥٠م .

٧٥- ديوان البحترى ، تحـ حسن كامل الصيرفى ، ط دار المعارف ، الثالثة .

٧٦- ديوان تأبط شرا وأخباره جمع وتحقيق وشرح على ذو الفقار شاكر ، ط دار الغرب الإسلامى ، الثانية ، ١٩٩٩م .

٧٧- ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب ، تحـ نعمان محمد أمين طه ، ط دار المعارف ، الثالثة .

٧٨- ديوان حسان بن ثابت ، تحـ د/ وليد عرفات ط : دار صادر ، ٢٠٠٦ م .

٧٩- ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت تحـ د/ نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، الأولى ، ١٩٨٧م .

٨٠- ديوان خالد الكاتب تحـ كارين صادر ، ط منشورات وزارة الثقافة – دمشق ، ٢٠٠٦م .

٨١- ديوان الخرنق بنت بدر رواية أبي عمرو بن العلاء تحـ د/حسين نصار،ط دار الكتب المصرية، الأولى، ١٩٦٩ م.

٨٢- ديوان الخنساء بشرح ثعلب تحـ د/ أنور أبو سويلم ، دار عمار بالأردن ، ط الأولى ، ١٩٨٨ م .

٨٣- ديوان ذى الرمة برواية وشرح أبى نصر الباهلى تحـ د/ عبد القدوس أبو صالح ، مؤسسة الرسالة ، الثالثة ، ١٩٩٣ م .

٨٤- ديوان الشماخ بن ضرار الذبيانى تحـ د/ صلاح الدين الهادى ، ط دار المعارف ١٩٧٧م .

٨٥- ديوان طرفة بن العبد تحـ درية الخطيب ، لطفى الصقال نشر إدارة الثقافة والفنون بالبحرين ، المؤسسة العربية ، بيروت ،ط الثانية٢٠٠٠م.

٨٦- ديوان العباس بن مرداس السلمى ، جمع وتحقيق يحيى الجبورى ، ط مؤسسة الرسالة ، الأولى ، ١٩٩١م .
٨٧- ديوان عبيد الأبرص ط : دار الكتاب العربى ، الأولى ، ١٩٩٤ .
٨٨- ديوان العجاج بشرح الأصمعي تحـ د/ عبد الحفيظ السطلي، ط مكتبة أطلس – دمشق، ١٩٧١م.
٨٩- ديوان عدى بن زيد العبادى جمع وتحقيق د/ محمد جبار المعيبد ، دار الجمهورية ، بغداد ١٩٦٥م .
٩٠- ديوان عمرو بن كلثوم ، تحـ أيمن ميدان ، ط النادى الأدبى الثقافى – جدة ، الأولى ، ١٩٩٢م .
٩١- ديوان عنترة تحـ / محمد سعيد مولوى ، ط المكتب الإسلامى ، دمشق ١٩٧٠ م .
٩٢- ديوان كثير عزة جمع وشرح إحسان عباس ، ط دار الثقافة بيروت ١٩٧١ م .
٩٣- ديوان معاوية بن أبى سفيان ، جمع وتحقيق د/ فاروق أسليم ، ط دار صادر الأولى ، ١٩٩٦م .
٩٤- ديوان النابغة الجعدى، جمع وتحقيق/ واضح الصمد، ط دار صادر الأولى ١٩٩٨م.
٩٥- ربيع الأبرار ونصوص الأخبار للزمخشرى ، تحـ عبد الأمير مهنا ، ط مؤسسة الأعلمى للمطبوعات ، الأولى ، ١٩٩٢م .
٩٦- ارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي، تحـ / رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، ط الأولى ١٩٩٨م.
٧٠- رسالة الغفران للمعرى تحـ د/ بنت الشاطئ ، دار المعارف ، ط التاسعة ١٩٩٣ م .

٧١- الروض الأنف فى شرح السيرة النبوية لابن هشام ، للسهيلى ، تحـ / عبد الرحمن الوكيل ، ط دار الكتب الإسلامية ، القاهرة ، الأولى ١٩٦٧م .

٧٢- زاد المسير لابن الجوزى ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط الثالثة ١٩٨٤م .

٧٣- زهر الآداب وثمر الألباب للحصرى القيروانى ، ط : المكتبة العصرية، الأولى ، ٢٠٠١ م .

٧٤- كتاب الزهرة لابن داود الأصبهانى ، تحـ د/ إبراهيم السمرائى ، ط مكتبة المنار ، الثانية ، ١٩٨٥م .

٧٥- السبعة لابن مجاهد تحـ د/ شوفى ضيف ط دار المعارف ١٩٧٢م .

٧٦- الاستيعاب فى معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، ط دار الأعلام ، الأولى ، ٢٠٠٢م .

٧٧- سر صناعة الإعراب لابن جني، تحـ د/ حسن هنداوي، ط دار القلم دمشق، الثانية ١٩٩٣م.

٧٨- سمط النجوم العوالى فى أنباء الأوائل والتوالى لعبد الملك العاصمى المكى ، تحـ عادل عبد الموجود ، وعلى معوض ، ط : دار الكتب العلمية ، الأولى ، ١٩٩٨م .

٧٩- السنن الكبرى للبيهقى ، تحـ : محمد عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية ، الثالثة ، ٢٠٠٣ م .

٨٠- السنن الكبرى للنسائى ، تحـ حسن عبد المنعم شلبى ، ط مؤسسة الرسالة – بيرت ، الأولى ، ٢٠٠١م .

٨١- سير أعلام النبلاء، ط: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٦ م.

٨٢- شرح أبيات مغنى اللبيب للبغدادى ، نحـ عبد العزيز رباح ، وأحمد يوسف دقاق ، ط دار المأمون للتراث ، الثانية ، ١٩٨٨ م .
٨٣- شرح أدب الكاتب للجواليقى ، ط دار الكتاب العربى – بيروت .
٨٤- شرح الأشعار الستة الجاهلية للوزير عاصم بن أيوب البطليوسى ، تحـ ناصف سليمان عواد ، ولطفى التومى ، ط المعهد الألمانى للأبحاث الشرقية (سلسلة النشرات الإسلامية) ،الأولى ، ٢٠٠٨م.
٨٥- شرح أشعار الهذليين للسكرى تحـ/ عبد الستار فراج ، ط مكتبة دار العروبة ، مطبعة المدنى ١٣٨٤ هـ .
٨٦- شرح المعلقات التسع (المنسوب) للشيبانى تحـ عبد المجيد همّو ، ط مؤسسة الأعلمى للمطبوعات – بيروت ، ٢٠٠١ م .
٨٧- شرح الخفاجى على درة الغواص ، ط الجوائب ، القسطنطينية ١٢٩٩هـ .
٨٨- شرح ديوان رؤبة بن العجاج لعالم لغوى قديم تحـ د/ ضاحى عبد الباقى وآخرين ، ط مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، الأولى ، ٢٠١١م .
٨٩- شرح ديوان الزفيان أبى المرقال عطاء بن أسيد التميمى ، تحـ محمد عبد الله الأطش ، (رسالة ماجستير من كلية اللغة العربية بالقاهرة – جامعة الأزهر ، مودعة بجامعة أم القرى ، قسم المخطوطات رقم ٢٧٣٣- ٧٥٢) .
٩٠- شرح ديوان الفرزدق إيليا الحاوى ، ط دار الكتاب اللبنانى ، الأولى ، ١٩٨٣م .
٩١- شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامرى تحـ د/ إحسان عباس ، ط التراث العربى الكويت ١٩٦٢م .

٩٢- شرح الشفا للقاضي عياض ، للملا على القارى ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ، ١٤٢١ هـ .
٩٣- شرح شواهد المغنى للسيوطى تحـ أحمد ظافر كوجان ط لجنة التراث العربى ، ١٩٦٦م .
٩٤- شرح الصولى لديوان أبى تمام تحـ د/ خلف رشيد نعمان ، ط وزارة الثقافة والإعلام - بغداد ، الأولى ، ١٩٧٨ -١٩٨٢ م .
٩٥- شرح الفصيح لابن الجبان تحـ / عبد الجبار جعفر القزاز ، ط المكتبة العلمية ، لاهور ، باكستان ١٤٠٦ هـ .
٩٦- شرح القصائد التسع المشهورات للنحاس تحـ د/ أحمد خطاب ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ١٩٧٣ م .
٩٧- شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى تحـ / عبد السلام هارون ، ط دار المعارف ط الخامسة ١٩٩٣ م .
٩٨-شرح معانى الآثار للطحاوى ، تحـ محمد زهرى النجار ، ومحمد سيد جاد الحق ، ط عالم الكتب ، الأولى ، ١٩٩٤م .
٩٩- شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ، تحـ محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار الجيل ، الثانية ، ١٩٩٦م .
١٠٠- شعب الإيمان للبيهقي، تحـ عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد ناشرون، الأولى، ٢٠٠٣م.
١٠١- شعر الأحوص الأنصارى ، جمع وتحقيق عادل سليمان جمال ، ط مكتبة الخانجى ، الثانية ، ١٩٩٠م .
١٠٢- شعر زياد الأعجم تحـ / يوسف حسين بكار ، دار المسيرة ، بيروت ، ١٩٨٣م .

١٠٣-شعر عمرو بن أحمر الباهلى جمع وتحقيق د / حسين عطوان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق .

١٠٤- شعر عمرو بن معدى كرب الزبيدى جمع مطاع الطرابيشى ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ط الثانية ، ١٩٨٥م .

١٠٥- شعر الكميت بن زيد الأسدى جمع وتقديم د/داود سلوم ، ط مكتبة الأندلس ، بغداد ، ١٩٦٩م .

١٠٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحـ / أحمد شاكر ط دار المعارف ، ١٩٨٢م.

١٠٧- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم لنشوان الحميرى تحـ د/حسين بن عبد الله العمرى وآخرين ط دار الفكر دمشق ، دار الفكر المعاصر ١٩٩٩ م .

١٠٨- شواذ القرآن واختلاف المصاحف للكرماني، تحـ أ.د/ الموافي الرفاعي البيلي، ط المكتبة العصرية، الأولى، ٢٠١٥م .

١٠٩- الصاحبى لابن فارس تحـ/ السيد صقر ، ط دار إحياء الكتب العربية ، فيصل عيسى الحلبى .

١١٠- الصاهل والشاحج للمعرى تحـ د/ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) دار المعارف ، ١٩٧٥ م .

١١١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية تحـ/ أحمد عبد الغفور العطار ط : دار العلم للملايين ، ١٩٨٤ م .

١١٢- ضرائر الشعر لابن عصفور تحـ السيد إبراهيم محمد ط : دار الأندلس للطباعة والنشر ، الأولى ، ١٩٨٠ م .

١١٣- طبقات الشافعية للسبكي، تحـ/ د. محمود الطناحي، و د. عبد الفتاح الحلو، ط دار إحياء الكتب العربية.

١١٤- طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحـ / محمود شاكر ، دار المدنى بجدة ١٩٧٤ م .
١١٥- الطبقات الكبرى لابن سعد ، تحـ على محمد عمر ، ط مكتبة الخانجى ، الأولى ، ٢٠٠١م .
١١٦- الطراز الأول والكناز لما عليه من لغة العرب المعول لابن معصوم المدنى نشرة مؤسسة آل البيت لإحياء التراث ، الأولى ، ١٤٢٦ هـ .
١١٧- عقد الخلاص فى نقد كلام الخواص لابن الحنبلى تحـ نهاد حسوبى صالح ، ط مؤسسة الرسالة ، الأولى ، ١٩٨٧م .
١١٨- العقد المفصل لحيدر الحلى ، ط بغداد ، الأولى ، ١٣٣١هـ .
١١٩- علم الأصوات ، د/ كمال بشر ط : دار غريب ٢٠٠٠ م .
١٢٠- العمدة لابن رشيق تحـ/ محمد محيى الدين عبد الحميد ، ط دار الجيل بيروت ، الخامسة ١٩٨١ م .
١٢١- عمدة القارى شرح صحيح البخاري للعينى، ط: دار الكتب العلمية، الأولى، ٢٠٠١ م.
١٢٢- العين للخليل بن أحمد ، تحـ د/ مهدى المخزومى ، د/ إبراهيم السامرائى ، مؤسسة الأعلمى للمطبوعات بيروت لبنان ، ط الأولى ١٩٨٨ م .
١٢٣- عيون الأخبار لابن قتيبة ، ط دار الكتب المصرية ، ١٩٩٦م .
١٢٤- غريب الحديث لابن الجوزى تحـ د/ عبد المعطى قلعجى ، دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٤ م .
١٢٥- الفاضل للمبرد تحـ عبد العزيز الميمنى ، ط الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م.

١٢٦- الفرق بين الضاد والظاء لأبى عمرو الدانى ، تحـ د/ حاتم الضامن ، ط دار البشائر- دمشق .
١٢٧- الفصوص لصاعد البغدادى ، تحـ د/ عبد الوهاب التازى سعود ، ط وزارة الأوقاف بالمغرب ، ١٩٩٣ م .
١٢٨- فضل العطاء على العسر لأبى هلال العسكرى ، تحـ محمود محمد شاكر ، ط المطبعة السلفية – القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .
١٢٩- الكامل فى التاريخ لابن الأثير تحـ عبد الله القاضى ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ، ١٩٨٧م .
١٣٠- الكامل فى اللغة والأدب للمبرد تحـ د/ محمد أحمد الدالى ، مؤسسة الرسالة ، ط الثالثة ١٩٩٧ م .
١٣١- كتاب الأبدال لأبى الطيب اللغوى تحـ/ عز الدين التنوخى، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١ م.
١٣٢- كتاب الأموال لبى عبيد ، تحـ محمد عمارة ، ط دار الشروق ، الأولى ١٩٨٩م .
١٣٣- كتاب التيجان فى ملوك حمير لوهب بن منبه ، نشرة مركز الدراسات والأبحاث اليمنية – صنعاء .
١٣٤- الكتاب لسيبويه تحـ عبد السلام هارون، ط دار الجيل بيروت.
١٣٥- كتاب الضعفاء والمتروكين لابن الجوزى ، تحـ عبد الله القاضى ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ، ١٤٠٦ هـ .
١٣٦- كتاب فحولة الشعراء للأصمعى ، تحـ محمد عودة سلامة ، ط مكتبة الثقافة الدينية .
١٣٧- كتاب القرط على الكامل (وهى الطرر والحواشى على الكامل) لأبى الوليد الوقشى وابن السيد البطليوسى ، تحـ ظهور أحمد أظهر .

١٣٨- كتاب القوافى للأخفش ، تحـ د/ عزة حسن ، ط وزارة الثقافة والسياحة والإرشاد القومى – دمشق ، ١٩٧٠م .
١٣٩- كتاب المغازى للواقدى ، تحـ د/مارسدن جونس ، ط عالم الكتب ، الثالثة ، ١٩٨٤م .
١٤٠- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل للزمخشرى ، تحـ / عادل عبد الموجود ، على معوض ط/ مكتبة العبيكان الأولى ١٩٩٨م .
١٤١- كشف الطرة عن الغرة للألوسى ، ط الحنفية – دمشق ،١٨٨٣م .
١٤٢- الكشف والبيان للثعلبى ، ط إحياء التراث العربى ، الأولى ، ٢٠٠٢م .
١٤٣- كنز الكتاب ومنتخب الآداب للبونسى ، تحـ حياة قارة ، ط المجمع الثقافى – أبوظبى ، ٢٠٠٤م .
١٤٤- لسان العرب لابن منظور ، تحـ / عبد الله على الكبير ورفاقه ، دار المعارف .
١٤٥- لسان الميزان لابن حجر العسقلانى ، تحـ عبد الفتاح أبو غدة ، ط مكتب المطبوعات الإسلامية .
١٤٦- اللغة العربية معناها ومبناها ، د/تمام حسان ، ط دار الثقافة ، ١٩٩٤م .
١٤٧- ما اتفق لفظه واختلف معناه فى القرآن المجيد للمبرد ، تحـ أحمد محمد سليمان أبو رعد ، ط وزارة الأوقاف الكويتية ، الأولى ، ١٩٨٨م .
١٤٨- ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة للحازمى تحـ حمد الجاسر، ط دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، ١٤١٥هـ .

١٤٩- المأثور من اللغة (ما اتفق لفظه واختلف معناه) لأبى العميثل الأعرابى تحـ د/ محمد عبد القادر أحمد ، ط مكتبة النهضة العربية ، الأولى ١٩٨٨م .
١٥٠- المبسوط فى القراءات العشر لابن مهران تحـ سبيع حمزة حاكمى، ط مجمع اللغة العربية بدمشق .
١٥١- المجالسة وجواهر العلم لأبى بكر الدينورى تحـ / مشهور بن حسن آل سلمان ، ط جمعية التربية الإسلامية ، البحرين ، دار ابن حزم بيروت ، الأولى ، ١٩٩٨م .
١٥٢- المجرد فى غريب كلام العرب لكراع النمل تحـ د/ محمد بن أحمد العمرى ط دار المعارف الأولى ١٩٩٢ م .
١٥٣- مجلة كلية اللغة العربية بالمنصورة ، العدد ١٠ ، ١٩٩٠ م (تعليل الأسماء د/جبل : ٤) .
١٥٤- مجمع الزوائد للهيثمى ، ط دار الكتاب العربى – بيروت .
١٥٥- المجموع المغيث فى غريبى القرآن والحديث لأبى موسى المدينى ، تحـ / عبد الكريم العزباوى ط جامعة أم القرى ، الأولى ١٩٨٦م .
١٥٦- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء للأصبهانى ، ط دار مكتبة الحياة – بيروت .
١٥٧- المحبر لابن حبيب برواية السكرى ، تحـ إيلزه ليختن شتيتر ، ط دار الآفاق الجديدة – بيروت
١٥٨- المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، تحـ /مصطفى السقا ، د/ حسين نصار وآخرين ط معهد المخطوطات العربية ، الثانية ، القاهرة ٢٠٠٣ م .

١٥٩- المخصص لابن سيده ، تصحيح / محمد محمود الشنقيطى ، ط بولاق ، ١٣١٦ -١٣٢١هـ .
١٦٠- المدخل إلى تقويم اللسان لابن هشام اللخمى تحـ د/ حاتم الضامن ، ط دار البشائر الإسلامية ، الأولى ٢٠٠٣ م .
١٦١- المذكر والمؤنث لابن الأنبارى تحـ /محمد عبد الخالق عضيمة ، نشرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة١٩٨١-١٩٩٩م.
١٦٢- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح ، ط دار الكتب العلمية ، الأولى ، ٢٠٠١م .
١٦٣- مروج الذهب للمسعودى ط المكتبة العصرية ، الأولى ،٢٠٠٥م .
١٦٤- المزهر فى علوم اللغة وأنواعها للسيوطى ، تحـ محمد أحمد جاد المولى وآخرين ط المكتبة العصرية ، بيروت ١٩٨٦ م .
١٦٥- المستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابورى ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ط دار الكتب العلمية - بيروت ، الأولى ، ١٩٩٠م .
١٦٦- مسند أبى يعلى الموصلى ، تحـ حسين سليم أسد ، ط دار المأمون للتراث ، الأولى ، ١٩٨٤م .
١٦٧- مسند الإمام أحمد ، تحـ / شعيب الأرناؤوط ، عادل مرشد ، ط الرسالة الأولى ١٩٩٥ م .
١٦٨- المصنف لابن أبى شيبة ، تحـ محمد عوامة ، ط شركة دار القبلة ومؤسسة علوم القرآن ، الأولى ، ٢٠٠٦م .
١٦٩- المصون فى الأدب لأبى أحمد العسكرى ، تحـ / عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى بالقاهرة ، دار الرفاعى بالرياض ، الثانية ١٩٨٢م .

١٧٠- المعانى الكبير لابن قتيبة ، تصحيح عبد الرحمن بن يحيى اليمانى ، ط دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٤م .
١٧١- معانى القرآن للفراء ، تحـ/ أحمد يوسف نجاتى ، محمد على النجار ، وآخرين ، دار الكتب المصرية ط الثالثة ٢٠٠١م .
١٧٢- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي تحـ/ إحسان عباس، ط دار الغرب الإسلامي، الأولى، ١٩٩٣ م.
١٧٣- معجم البلدان لياقوت الحموى ، دار صادر بيروت ١٩٧٧م .
١٧٤- معجم الشعراء للمرزباني تحـ/ فاروق أسليم ، ط دار صادر ، ٢٠٠٥م .
١٧٥- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة ، عمر رضا كحالة ، ط مؤسسة الرسالة ، الثامنة ، ١٩٩٧م .
١٧٦- المعجم الكبير للطبرانى ، تحـ حمدى عبد المجيد السلفى ط : مكتبة ابن تيمية .
١٧٧- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع لأبى عبيد البكرى ، تحـ مصطفى السقا ، ط عالم الكتب بيروت ، مصورة عن طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة ١٩٤٥م .
١٧٨- معرفة الصحابة لأبى نعيم ، تحـ عادل يوسف العزازى ، دار الوطن للنشر – الرياض ، الأولى ، ١٩٩٨م .
١٧٩- المفضليات بشرح القاسم بن محمد الأنبارى تحـ كارلوس يعقوب لايل ، مطبعة الآباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٢٠ م .
١٨٠- المقتضب للمبرد تحـ / محمد عبد الخالق عضيمة ، ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٩٩٤م (مصورة) ، وصدرت النشرة الأولى ١٩٦٣ م .

١٨١- المقرب لابن عصفور ، تحـ أحمد عبد الستار الجوارى ، وعبد الله الجبورى ، ط الأولى ، ١٩٧٢م .
١٨٢- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد، تحـ د/ عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، ط مكتبة الرشد – الرياض، الأولى،١٩٩٠م.
١٨٣- المنازل والديار لأسامة بن منقذ ، تحـ مصطفى حجازى ، ط دار سعاد الصباح ، القاهرة ، الأولى ، ١٩٩٢ .
١٨٤- المناقب المزيدية فى أخبار الملوك الأسدية لأبى البقاء الحلى ، تحـ صالح موسى درادكة ، محمد عبد القادر خريسات ، ط مكتبة الرسالة الحديثة – عمّان ، الأولى ، ١٩٨٤م .
١٨٥- المنتخب من غريب كلام العرب لكراع النمل تحـ د/ محمد أحمد العمرى ، ط جامعة أم القرى الأولى ١٩٨٩ م .
١٨٦- المنمق فى أخبار قريش لابن حبيب تحـ خورشد أحمد فاروق ، ط عالم الكتب بيروت ، الأولى ، ١٩٨٥م .
١٨٧- المواقف فى علم الكلام للإيجى ، تحـ د/عبد الرحمن عميرة ، ط دار الجيل – بيروت ، الأولى ، ١٩٩٧م .
١٨٨- المؤتلف والمختلف للآمدى تحـ /عبد الستار فراج ، ط دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦١ م .
١٨٩- المؤتلف والمختلف للدارقطنى ، تحـ موفق عبد الله عبد القادر ، ط دار الغرب الإسلامى ، الأولى ، ١٩٨٦ م .
١٩٠- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء للمرزباني، تحـ/ علي محمد البجاوي، ط نهضة مصر .
١٩١- ناسخ الحديث ومنسوخه للأثرم ، ط الأولى ، ١٩٩٩م .

١٩٢- النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة لابن تغرى بردى ، ط دار الكتب المصرية ، الأولى ، ١٩٢٩م – ١٩٧٢م .
١٩٣- نشوار المحاضرة وأخبار المذاكر للقاضى التنوخى ، تحـ عبود الشالجى ، ط دار صادر ، الثانية ، ١٩٩٥م .
١٩٤- نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى ، ط المطبعة الجمالية ، ١٩١١م .
١٩٥- نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى تحـ د/ مفيد قميحة وآخرين ، دار الكتب العلمية بيروت ط الأولى ٢٠٠٤ م .
١٩٦- النهاية فى غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، تحـ محمود الطناحى ، طاهر الزاوى ، ط الحلبى ، القاهرة ١٩٦٣-١٩٦٥ م.
١٩٧- النوادر لأبى مسحل الأعرابى ، تحـ د/ عزة حسن ، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٩٦١م .
١٩٨- نور القبس المختصر من المقتبس فى أخبار النحاة والأدباء والشعراء والعلماء تأليف المرزبانى واختصار الحافظ اليغمورى ، تحـ رودلف زلهايم ، ط فرانتز شتاينر ، فيسبادن ، ١٩٦٤ م .
١٩٩- الوافى بالوفيات للصفدى تحـ / أحمد الأرناؤوط ، تركى مصطفى ، دار إحياء التراث العربى ، ط الأولى ٢٠٠٠ م .
٢٠٠- الوجوه والنظائر لأبى هلال العسكرى ، تحـ محمد عثمان ، ط/ مكتبة الثقافة الدينية ، الأولى ، ٢٠٠٧م .
٢٠١- وفيات الأعيان لابن خلكان ، تحـ د/ إحسان عباس ، دار صادر، بيروت ١٩٦٨م .